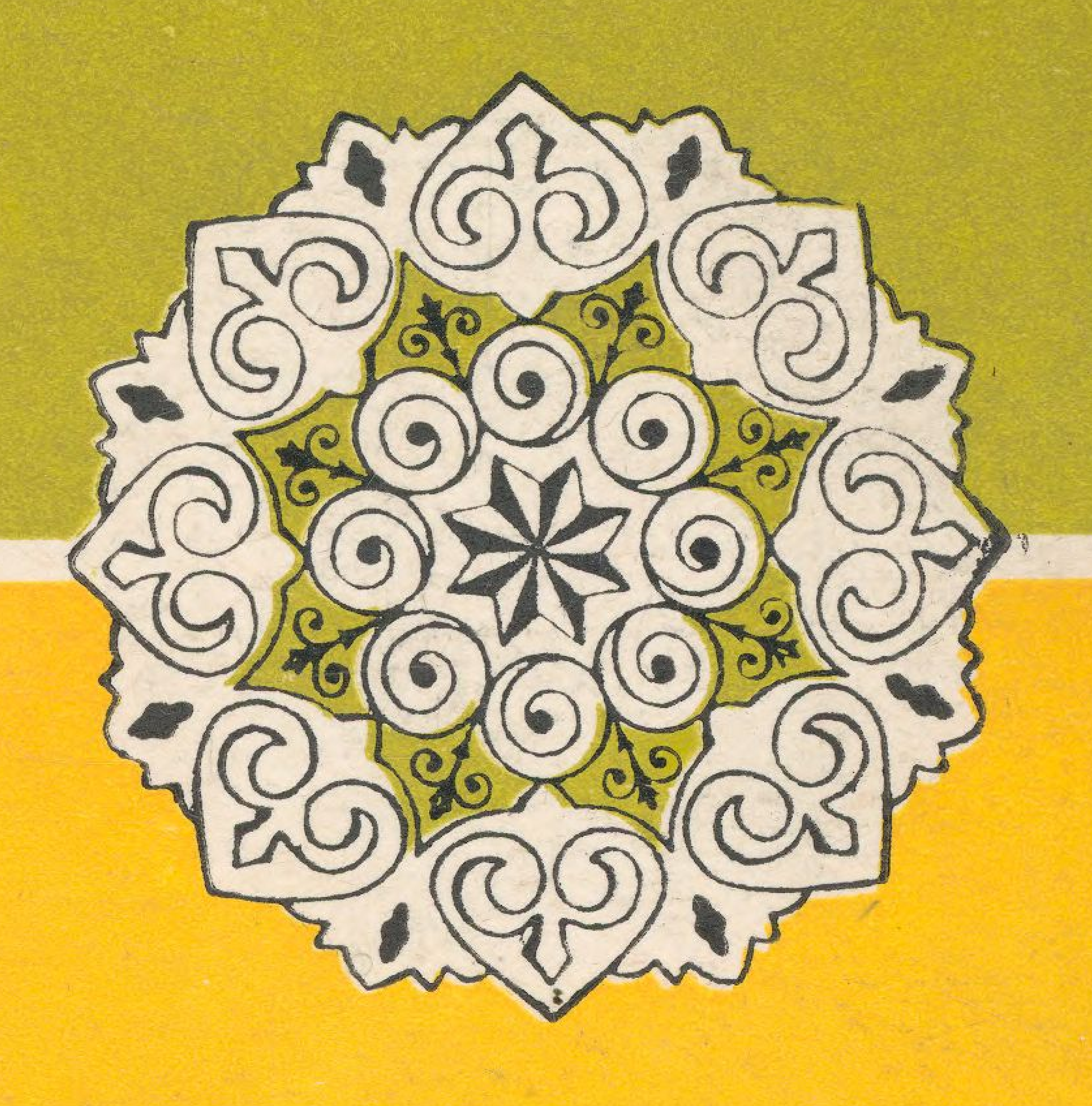
دراسات في الإسلام



الإشعاعات الإسلامية في معركة العاشر من رمضان

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي علي

يصدرها : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة

العدد ١٥٥

دراسات في الإسلام

يصدرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

القاهرة

الإشعاعات الإسلامية في معركة العاشر من رمضان

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي علي

العدد ١٥٥

السنة الرابعة عشرة

١٥ من صفر سنة ١٣٩٤ هـ

٩ من مارس سنة ١٩٧٤ م

يشرف على إصدارها

محمد توفيق عويضة

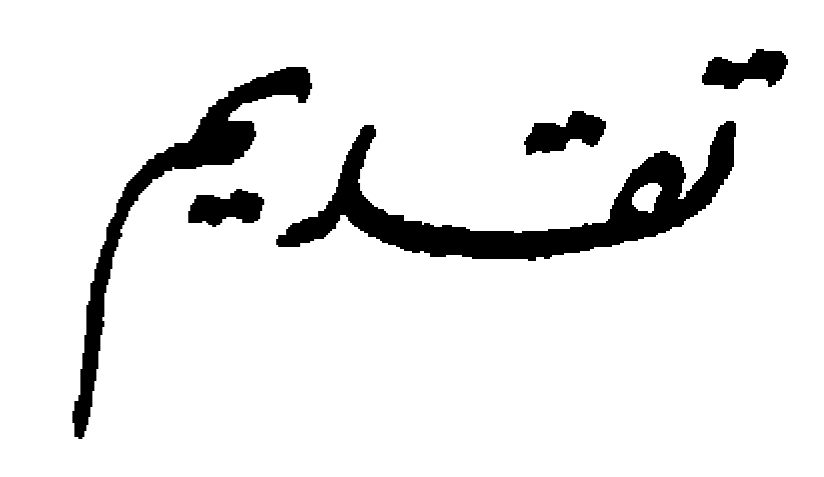
اللّٰہُ

جَلَّ جَلَالُہٗ

بسم الله الرحمن الرحيم

« الذين استجابوا لله والرسول ، من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم • الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم »

صدق الله العظيم



مع هذه الاشراقة الجديدة ، التى أضاءت العالمين العربى والاسلامى بسنا النصر المجيد ، الذى كتبه الله على أيدى أبطالنا الشجعان فى الجبهتين المصرية والسورية ، فى يوم العاشر من رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، يسعدنى أن أقدم هذه الصفحات تحية متواضعة لهؤلاء الرجال الذين أعادوا الثقة الاسلامية فى النفوس ، وعززوا الايمان فى القلوب ، وأرجعوا ببطولاتهم العظيمة وتضحياتهم النادرة وكفاحهم الرائع ذكرى معارك المسلمين الخوالد ، التى أشرقت صفحات التاريخ بها • ذكرى بدر،والقادسية،واليرموك،والأندلس وحطين ، والمنصورة ، وغيرها من الواقع التى كانت الرغبة فى الاستشهاد زادا يدفع أصحابها الى اقتحام المخاطر ، وتحدى الصعاب ، وانتزاع النصر من بين ما ضغى الموت ••

لقد كان العاشر من رمضان فتحا جديدا أخذ بأيدى الناس الى واقع جديد كانوا يتطلعون اليه ، وأزال الغشاوة المصطنعة التى غطت عيونهم فحجبتها عن ادراك جوهرهم وحقيقتهم فترة من الزمن ، فما أن دوى نفيرالجهاد حتى ظهرت الروح الاسلامية على حقيقتها ، وبدأت تنقشع تلك الغشاوة فيظهر الايمان الكامن فى النفوس ويظهر معه الحق الذى يزهق أمامه الباطل • وبدا

أن الشر مهما تراكم لابد وأن تأتى الساعة التى تقوض صرحه وتهدم بنيانه وتبدد سلطانه .

أجل ، لقد ظهرت الروح الاسلامية فى العاشر من رمضان قوية ظافرة ، وكان لصيحة « الله أكبر » دوى زلزل حصون الباطل وأذهب سحره ، وأوقع الرعب فى قلوب العدو الذى ولى مدبرا ولم يعقب ، وكان لسلطان هذه الكلمة النورانية قوة دحرت جبروته فضل ضلاله وضاع صوابه واعتراه التخبط فالتوت أمامه السبل ، وأعمى الله بصره وبصيرته فأوقعه فريسة للأسود المناضلين عن دينهم وعقيدتهم ووطنهم .. حتى أذن مؤذن النصر .

ما أجمل الايمان يحيى موات القلوب ، ويبعث خوامد الأرواح ، فاذا بها تنطلق كالريح العاتية تدمر كل باطل بأمر ربها . ولا عجب ، فقد سلحها الله بسلاح من عنده ، وأمدها بجند من أمره ، وسخر لها كل شىء فما يقوى على الوقوف فى طريقها شىء . وهكذا كان الايمان فى نفوس جنودنا فى العاشر من رمضان ، يوم أن أعطى القائد المؤمن اشارة البدء فى ملحمة النصر ، وأطلق على هذا العمل العظيم اسم « بدر » تيمنا بأول معركة خاضها المسلمون وكان النصر فيها حليفهم ، وجند الله فى صفوفهم ، والنبى — صلى الله عليه وسلم — فى مقدمتهم ، يبارك جهودهم ، ويحث خطاهم ، ويدعو الله لهم أن يرعاهم ويحقق رجاهم .

وانطلقت حناجر الجنود ملبية دعوة القائد فى العاشر من

رمضان مرددة نداء « الله أكبر » فتغير مجرى التاريخ ٠

وتسابقت الزوارق فى مياه القناة الزرقاء تصنع نشيد النصر، وتنسج خيوط الفجر الجديد لتاريخ آخر مجيد ، وانطلقت الى الشاطىء الآخر فى ثقة وثبات ليحتضن الجنود المؤمنون رمال سيناء الحبيبة ٠ ويغسلوا ثراها من دنس الصهيونية الخسيسة، ويقبلوا ترابها الطاهر الميمون الذى تشرف بخطى الأنبياء والمرسلين ، ويحرروا هذا المكان المقدس الذى ذكره الله فى كتابه الكريم ، وأقسم به على أن الانسان خلق فى أحسن تقويم ، ولكنه هو الذى يرد نفسه بغوايته وضلاله وخروجه عن السنن الصالح الى أسفل السافلين ، كما فعل هؤلاء اليهود الذين خانوا تعاليم الله واعتدوا على أنبيائهم وعاثوا فى الأرض فسادا ، فكانوا خليقين بأن يلعنهم الله على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ٠

صنع الايمان الكثير حين أظل العرب والمسلمين برايته ، وحين اعتصموا به فى هذه المعركة الخارقة ، فتحققت لهم عزتهم ووحدتهم ، وارتفعت حكمتهم ، وآمن العالم كله من أقصاه الى أقصاه بالعرب وموقفهم الشجاع ، يوم أن ارتد اليهم هذا الايمان، واعترف بحقهم الذى كان ينكره عليهم ، وحين رأى نصرهم المؤزر بدأ يقيم علاقته بهم على أسس جديدة غير تلك الأسس التى كانت بالأمس، ويقوم عملهم بمنظار آخر غير الذى كان ينظر به اليهم ٠ فلقد رأى شيئا أذهله ، ونظر الى صورة أخرى لم يعهدها من قبل ٠ فاختلت المقاييس المادية التى دأب على أن يقيس بها كل ادراكاته وتصوراته ، لأن هناك شيئا معنويا أكبر من هذه المقاييس وأعظم من تلك الموازين ٠

أجل ، فما بال تلك القوى المـادية الملموسة التى وضع العلم الحديث فيها كل امكانياته تتحطم ؟

ومابال تلك الحصون التى شهدت لها كل العبقريات المـادية بالقوة والصلابة تتهاوى ؟

وما بال ذلك التفوق « التـكنولوجى » يعجز أمام الجنـدى المؤمن الذى وقف يتحدى الموت ببسالته وايمانه ؟

حقا لقد بنى الجندى العربى بنـاء جديدا يقف به أمام عدوه على قدم المسـاواة فى درجة الكفاءة المادية والعسكرية . ولكن هناك شيئا آخر كان يتسلح به هذا الجنـدى العربى ولم يكن يعمل له العدو أى حساب . ذلك هو الايمان .

الايمان هو الذى صاحبه فى عبوره فحرسـه منذ اللحظات الأولى من موجات السعير التى أراد العدو أن يصليه بها ، والتى أراد أن يعرقل بها خطاه ويحطم معابره ويوقف زحفه .

الايمـان الذى عزز الثقة فى نفسه فجعله يقدم على الموت بصدر رحب لأنه أحيا معنى الشـهادة فى نفسـه ، فهو يقاتل لينال احدى الحسنيين .

الايمان الذى فجر على يديه المعجزات ، وأعـاد اليه مواقف بدر وما صاحب المسلمين فيها من خوارق وآيات ..

فلم تعقه قوى الحصون ، ولا ضخامة الحوائل ولا مرتفعات السواتر ولا خزانات اللهب ولا شراسة العدو ولا كثرة مكره

ودهائه عن أن يقوم بأعظم عملية عبور فى التاريخ ، متحديا فى ذلك كل الصعاب ، ومحققا أعظم المعجزات بكل ماتعنيه هذه الكلمة من معان ومفاهيم •

ولم يعقه حر الصحراء ونقصان الماء عن هدفه لأن الله كان معه فى وقت الشدة ، فليس بعيدا أن يفجر له عيون الماء فى الأرض القاحلة الجرداء •

ولم تعقه شدة الحصار من حوله عن أن يستمر ثابتا كالطود، شامخا كالجبل ، لأن الله عصمه بعقيدة لا يعتريها الكلل ، وأمده بصبر لا يأخذ منه الملل ، ويمده بما يعينه على اجتياز المحنة بثبات يقوى فيه روح الأمل •

ولم ترهبه كثرة القاذفات ولا شراسة الدبابات ولا قسوة المعارك وعنف الاشتباكات عن غايته لأن الله أحال نيران عدوه بردا وسلاما ، وحول أطنان ذخيرته الى غير أهدافها وأعمى عيونه فوقع فى الشراك التى نصبها « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » •••

كان لهذا الايمان الذى ظلل المعركة آثار عظيمة المدى ، قلبت الموازين وحولت اتجاه الرأى العام وأيقظت الضمائر ، ونبهت وجدان الناس الى أن هناك قوة خارقة لا تتخلى عن الحق مهما امتدت بالباطل الأسباب ، وأغلقت دون الحق الأبواب •• هى قوة الله العظمى وقدرته الغالبة ••

وليست المادة كل شىء ، وان كان لابد من التسلح بها استجابة لأمر الله « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ولكن ـ

الى جانبهـا ـ لابد من التسـلح بذلك السلاح البتار ، سلاح الايمان الذى يسـتمد به المقاتل قوة فوق قوته ، ويضـمن به التفوق على عدوه وقدرته •• ولا نقول كما يقول بعض الناس: لندع التفكير فى اللامعقول ، ولنتخل عن هذه « الدروشة » التى لا تسـمن ولا تغنى من جـوع • فليس الذى نقول من قبيل اللامعقول ، ولكنه من صميم المعقول ••

فمن المعقول أن ندرك أن هناك جنودا لله يؤيد بها من يشاء « وما يعلم جنود ربك الا هو » وجل الذى يقول : « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا » •

وليس هذا قاصرا على الانبيـاء ولكنه شامل لدعـوة الحق والدفاع عنه فى كل زمان ومكان « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » •

والتقوى احدى عدد الانسان وقت الشـدة « ومن يتق الله يجعل له مخرجـا » ولولا أن التقـوى احدى الأسباب القوية المحققة للنصر ما أوصى الخلفـاء الراشـدون بهـا جنـودهم وقوادهم فى معاركهم على تعددها•يوصى أبو بكر خالدا بقوله:ـ « عليك بتقوى الله وايثاره على سـواه والجهاد فى سبيله » ويوصى عمر سعد بن أبى وقاص بقوله « آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المـكيدة فى الحرب ، وآمـرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم » •

وفى وقت الشدة يتجلى تمسك الجندى بالله وتعلقه به ، فهو يهتف باسـمه ويناجيه ويتضرع اليه أن يهبـه النصر ويلهمه التوفيق ويمده بعونه ونصرته ، وليس أقـرب من استجابة الله لعباده فى حالة الاضطرار « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السـوء » ؟

وكلمة « الله أكبر » التى هزت الأرجـاء وصـعدت الى عنان السـماء فتفتحت أمامهـا الأبواب واسـتقبلها الملائك بالبشر والترحاب ليس أقل من أن يتلقاها الله بالقبول الحسن من رجال وهبوا أنفسهم للموت ، وخرجوا لا يطلبون شيئا الا النصر أو الشـهادة دفاعا عن حقوقهم واعلاء لكلمة ربهم واجلاء لغاصب أرضهم ووطنهم ..

لقد صاحب هذه المعركة كثير من الآيات التى ألهبت الايمان فى النفوس وعززت الثقة وأحيت الأمل وكان حصـيلة ذلك كله نصرا مؤزرا وفوزا ساحقا .

ونحن نحاول فى هذه الصـفحات أن نقدم بعض الاشعاعات الاسلامية التى تجلت فى معركة العاشر من رمضـان ، مقدمين لذلك بما يتناسب مع هذه المعـركة من نهج اسـلامى فى تربيته العسكرية ودعوته الى الجهاد المقدس وهدفه من ذلك ، وعلاقة الصوم بالنصر . والله المستعان وهو وحده ولى التوفيق ..

الْمَعْرَكَةُ الْمُقَدَّسَةُ

لا يشك أحد فى أن معركة العاشر من رمضان معركة مقدسة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من مدلولات •

فهى على المستوى الوطنى والقومى والدينى معركة تتمشى مع الأهداف المقدسة التى تتجاوب معها أنبل المشاعر الكريمة فى نفس الانسان ، وتحرك عاطفته نحو الجهاد المقدس الشريف الذى يجعله يستهين بكل ما يملك من روح أو مال أو ولد فى سبيل النصر وما يستتبعه من أمجاد خالدة •

كانت معركة العاشر من رمضان أحد النماذج الفريدة فى تاريخ العرب والمسلمين ، وخطا فاصلا بين عهدين متمايزين : عهد وصلت فيه النفوس الى حالة من اليأس دفعتها الى الاستهانة بكل قيمة • والسخرية من أى مبدأ • وعهد وصلت فيه النفوس الى حالة من اليقين والرضا دفعتها الى الاستهانة بكل عزيز والتضحية به فى سبيل الحفاظ على ما وصلت اليه من هذه الحالة اليقينية الراضية •

ولقد رأينا خلال هذه المعارك نماذج من الاستبسال لم تشهدها البلاد منذ فترات طويلة ، ولم نسمع عنها الا فى خلال تلك المعارك الاسلامية المشرقة التى جرت فى القرون الأولى من تاريخ الاسلام العظيم ، وفى خلال الكفاح المرير الذى كان الشعب العربى يقوده مقاوما السلطات الغاشمة أو الاعتداءات الظالمة •

وليس هناك من دافع لهذا الاستبسال الا الاستشعار القدسى لجو المعركة التى جرت فى أثناء شهر مقدس عبقت أيامه بذكريات النصر الذى ذاقه العرب والمسلمون فى مختلف المواقع التى جرت عبر التاريخ فيه . والا الرغبة فى محاربة عدو فرض الاســلام جهاده وفقا له لأنه لايريد بالعرب والمسلمين الا كل شر ، وهو يتربص بالاســلام الدوائر ويتحين له الفرص ، ويكيد للعقيدة الاسلامية بكل ما أوتى من قوة وبكل وسيلة ممكنة من وسائله النادرة المشبوهة .

أجل ، هذه المعركة مقدسة بدون شك ، ولا أدل على ذلك من التقائها مع أهداف الجهاد التى شرعها الله وأراد عن طريقهــا توطيد الحق وتثبيت دعائم الخير وتهيئة فرصة الحياة الكريمة العزيزة للناس أجمعين .

الجهاد فى الاسلام :

شرع الجهاد فى المدينة بعد هجــرة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ اليها . وكان ذلك بتوجيــه الهى كريم جــاء فى قوله تعالى : « ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، ان الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا : ربنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقــوى عزيز . الذين ان مكنــاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » جاء فى القرطبى عند تفسير هذه الآيــات

أنها أول آيات نزلت فى القتال . قال ابن عباس وابن جبير : نزلت عند هجرة الرسول الى المدينة ، وروى النسائى والترمذى عن ابن عباس : لما أخرج النبى — صلى الله عليه وسلم — من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ليهلكن ، فأنزل الله تعالى : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . فقال أبو بكر : لقد علمت أنه سيكون قتال .

ولقد كان المسلمون كما تروى كتب الصحاح والسيرة يتعرضون للأذى قبل بيعة العقبة ، ولم يؤذن لرسول الله فى الحرب ، وكان لا يملك الا الدعاء الى الله والأمر بالصبر على الأذى والصفح عن الجاهل ، حتى استمر الكفار فى طغيانهم ولم يردعهم رادع من مروءة أو عقل ، وحاولوا فتنة الناس عن دينهم وصرفهم عن طريق الحق ، فنفى من نفى ، وشرد من شرد ، وهلك من هلك ، وصبر قوم من المسلمين على الأذى ، وفر قوم بدينهم الى الحبشة ، حتى صدر الأمر بالهجرة الى المدينة ، فهاجر المسلمون زرافات ووحدانا ، ثم تبعهم النبى — صلى الله عليه وسلم — يرافقه الصديق — رضى الله عنه — وهناك أصبح الاسلام فى عزة ومنعة ، فأمر المسلمون بالدفاع عن عقيدتهم والتبشير بدينهم ورد الاعتداء عليهم ..

جاء فى سيرة ابن هشام : أن النبى — صلى الله عليه وسلم — هاجر الى المدينة وعمره ثلاث وخمسون سنة ، فأقام بها بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجماديين ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة .. ثم خرج غازيا فى صفر على رأس اثنى عشر شهرا من مقدمه المدينة . ولم يحدث

قتال الا فى غزوة بدر الكبرى التى كانت فى رمضان سنة ثلاث من الهجرة ••

وقيل : ان أول آية نزلت فى القتال هى قوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين • واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل » الى قوله تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » ••

وبتدبر هذه الآيات وما قبلها ندرك الحكمة فى الأمر بالقتال من أنه رد للاعتداء ودفع الظلم وقضاء على الفتن واعلاء لكلمة الله •

ويدخل فى نطاق ذلك كل قتال يكون الهدف منه تأمين الوطن وسلامته واعلاء شأنه ودفع الظلم عنه وطرد الغاصب منه ورد اللاجئين الى ديارهم وتأمين حقوقهم واعطاءهم ممتلكاتهم •

التشكيك فى أهداف الجهاد :

ولقد أرجف المرجفون كثيرا حول قضية القتال فى الاسلام ، وتحدثوا فيها طويلا بما يفهم منه بأن الاسلام قام على السيف ولم يقم على المنطق والحجة والبرهان ، وبأنه دين استعمارى توسعى ••

ويهمنا أن نتعرض هنا لهذه القضية التى عادت الى الظهور مرة أخرى بعد أن أدحضت على يد مفكرينا الأفاضل ، ولعل السبب فى ظهورها مرة أخرى مايريده العدو الآن جريا على عادته من تزييف الحق واشاعة الباطل وتشويه الوقائع • ومن

خططه المدروسة فى محاربة المسلمين الحرب النفسية التى يعلنها ضدهم محاولا بذلك ايقاع البلبلة فى أذهانهم وزرع الشكوك فى عقائدهم ، عن طريق بعض ذوى النفوس المريضة الذين يسهل عليه اصطيادهم واغراؤهم بمختلف صور الاغراء •

ولقد تعقب كثير من المفكرين هذه الفتنة التى ثارت قديما بالرد القاطع وحسموها،وأبطلوا الذرائع الواهية التى لم تستطع الثبات أمام الحجج القوية الدامغة ، وهى فى جملتها ردود كفيلة بابطال تلك الدعاوى الزائفة التى يدعيها المغرضون •

جاء فى كتاب « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » للمرحوم العقاد حين يستشهد فى الرد على هذه القضية بشاهد من أهلهم هو الكاتب الغربى « توماس كارليل » صاحب كتاب الأبطال وعبادة البطولة حيث اتخذ محمدا — صلى الله عليه وسلم — مثلا لبطولة النبوة ما يلى « ان اتهام النبى بالتعويل على السيف فى حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم ، اذ ليس مما يجوز فى الفهم أن يشهر رجل فرد السيف ليقتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته — فاذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين ، وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها » •

على أن القرآن الكريم صريح فى ذلك ، فهو يقول « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » وهو يقول مخاطبا النبى — صلى الله عليه وسلم — « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ » ويقول له : « ادع

الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسـنة وجادلهم بالتى هى أحسـن ، ان ربك هو أعلم بمن ضـل عن سـبيله وهو أعلم بالمهتدين » •

هذه الآيات الكريمة تلقى ضـوءا كاملا على مفهوم رسـالة الاسلام والسلام، التى قامت على الحجة الكاملة والمنطق السليم، ولم يكن فى حسابها على الاطلاق أن يحمل النبى سيفا يدعم به الدعوة التى تحض على استعمال العقل والتفكر فى خلق السموات والأرض للاستدلال من مظاهر ابداعهما على قدرة ابداع الخالق والايمان به ربا واحدا لا شريك له ••

بعث النبى صلى الله عليه وسلم وحده لا سند له الا ايمانه القوى بصـدق رسالته وقوة عقيدته ، لا مـال معه ولا جيش يظاهره ولا قوة غير قوة الحق تؤيده ، فكل نجاح يلقاه فى طريق دعوته فأمر هذا النجاح موكول الى صدق جهاده وبلاغة حجته وهيمنة اليقين الذى يدعم موقفه • نرى ذلك واضحا فى عمق ايمانه حين هاجر من مكة الى المدينة ، ولا سند له بعد الله الا صاحبه وصفيه • نراه يقول له فى يقين كامل : لا تحزن ان الله معنا •

ولعل مدلول هذا اليقين الكامل هو الذى يفتح أمامنا الطريق للاجابة الكاملة عن كيفية انتشار الاسلام الذى لا يمكن أن ينتشر هذا الانتشار الواسع بواسطة شخص ليس معه سوى صاحبه الخائف المتوجس • ان لم يكن وراء هذين الصـاحبين قوة الهية جبارة هى التى مكنت لهذا الدين ونشرته فى أرجاء الأرض • وهذا هو الذى يمكن فهمه من بقية الآية • بعد قـوله : لا تحزن ان الله معنا •• فأنزل الله سـكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ،

وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم •

ان آية الهجرة كما قال أحد العلماء أكبر دليل على أن الاسلام لم ينتشر بالسيف ولكنه انتشر بمعونة الله وفضله وتهيئة الأذهان والعقول وشرح الصدور له • فقد نزلت هذه الآية الكريمة فى أعقاب غزوة تبوك بعد فتح مكة فى معرض المنة على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكان فيها مقارنة بين حال المسلمين فى أول الهجرة وما وصلوا اليه بعد ذلك حينما أظهرهم الله على عدوهم ، وهيأ لهم من أسباب العزة والمنعة ما مكن لهم وأعلى شأنهم •

لم ينتشر الاسلام بالسيف هذا واقع ، ولم يلجأ الاسلام الى القوة الا لمحاربة القوة التى تصد المسلمين عن الاقناع ــ كما يقول المرحوم العقاد ــ فاذا رصدت لهم الدولة القوية جنودها حاربوها لأن القوة لا تحارب بالحجة والبينة • واذا كفوا عنهم لم يتعرضوا لهم بسوء ، وضرب الأمثلة على ذلك من واقع التاريخ، فهم مثلا لم يحاربوا الحبشة ولكنهم حاربوا الفرس الذين حرضوا على قتل الرسول ، وحاربوا الروم الذين أرسلوا طلائعهم الى تبوك ، فجرد النبى عليهم حملة عادت بدون قتال حين علم عدم تأهبهم للزحف • ولكن حين علم أبو بكر بعد ذلك بتحريضهم القبائل العربية فى العراق والشام على غزو الحجاز حاربهم وانتصر عليهم •

وهكذا فى كل قتال بدأ فى ذلك الوقت أو بعد ذلك الوقت ، وانما كان له سبب يمت الى الهدف الأسمى من الجهاد السابق

الاشارة اليه • حتى فى فتح الأندلس فى العام الثانى والتسعين من الهجرة فانه لم يفكر العرب فى فتحها الا بعد أن استنجد أهلها بالعرب لتخليصهم من الظلم الاجتماعى الواقع عليهم •

الا أن المتأمل فى رسالة الاسلام يجد أنها رسالة سامية لاتقف عند حد الابلاغ والدعوة ، ولكن الله أراد أن تكون رسالة شاملة للبشر أجمعين : « يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » « ان الدين عند الله الاسلام » « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » •

وبمقتضى هذا الشمول الذى تشير اليه هذه النصوص الكريمة لابد من ايصاله الى الناس عن طريق الحسنى أولا ، والالتزام الأدبى الذى التزم به المسلمون نحو هذا الدين أوجب عليهم أن يبشروا به فى كافة أنحاء العالم رغبة منهم فى اشاعة هذه المبادىء الكريمة السليمة التى يعمل الدين على احيائها •

ولقد عبر عن هذا المعنى عالم نمسوى هو « ليوبولد فايس » الذى اعتنق الاسلام عن اقتناع ونظر وسمى نفسه « محمد أسد » وألف كتابا أسماه : « الاسلام على مفترق الطرق » وفيه يبرر الفتوح الاسلامية على أنها نوع من تحمل المسئولية الشخصية عند المسلم عن نشر كل أنواع السعادة حوله والسعى الى اقرار الحق وازهاق الباطل فى كل زمان ومكان ، مصداقا لقوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » والعبرة بالهدف من وراء هذه الحروب التى اشتعلت فى الاسلام ، فلم يكن الباعث عليها حب السيطرة

أو الانانية الاقتصادية أو القومية أو الطمع فى أن تزيد أسباب رفاهية المسلمين الخاصة على حساب شعب آخر أو اكراه غير المؤمنين على الدخول فى الاسلام ، ولكن الباعث اليها هو بناء اطار عالمى لأحسن مايمكن من التطور الروحى للانسان •

والسيف ضرورة فى بعض الأحيان عبر عن هذا المعنى أمير الشعراء شوقى فى نهج البردة قائلا :

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا
لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة
غزوت بالسيف بعد الغزو بالقلم
والشر ان تلقه بالخير ضقت به
ذرعا وان تلقه بالشر ينحسم

وان من الشعر لحكمة كما يقول الرسول الكريم ، وهذه الأبيات من الحكمة التى تخرج مخرج التجربة الصادقة ، فليس من شك فى أن الشر لا تجبه الا القوة ولا يقطعه الا السيف ، ولو أن الرسول سكت على اليهود بعد أن ظهرت نياتهم لاستشرى شرهم فى المدينة ولاستحكم بلاؤهم ، ولكنه عالجهم بما هو أجدى لحالهم وحال المسلمين ومستقبلهم •

طبيعة اليهود الغادرة :

ومن الضرورى أن نلقى بعض الضوء على علاقة المسلمين باليهود بعد الهجرة ، لنعرف كيف طبع هؤلاء القوم على الشقاق والنفاق ، وأن العلاج الحاسم لهم لا يكون الا بأخذهم بكل شدة وعنف ليستقيم حالهم ويكبت شرهم وعدوانهم •

كان اليهود فى المدينة وما حولها يتظاهرون على العــرب قبل البعثة قائلين لهم : ان نبيا قد أظلنا زمانه نجد نعته فى التوراة ولئن ظهر لنتبعنه ولنقاتلنكم معه • بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا اذا قاتلوا عدوهم يتوسلون بهذا النبى الى الله قائلين : اللهم انا نسألك بالنبى الذى نجد نعته فى التوراة أن تنصرنا على عدونا فكانوا ينتصرون •

ولكن ما ان ظهر النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وهاجر الى المدينة حتى كفروا بدعوته ، وألبوا عدوه ضده ، وظاهروا عليه المشركين وأغروا به الشعراء والسفهاء • وهذا هو قوله تعالى « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » •

وبلغ من أمر كفرهم أن ائتمروا عليه وهموا بقتله ، فانتهزوا فرصة وجوده بين ظهرانيهم ـــ وكان قد عقد معهم حين هجرته الى المدينة معاهــدة يحترم فيها دينهم ويقرهم على عبــاداتهم ويكفل لهم الأمن والسلامة مع المســلمين ـــ وهموا أن يقتلوه غيلة بواسطة القاء صخرة عليه من أعلى جدار كان يجلس تحته، ولكن الله أعلمه بأمرهم ونجاه من شرهم ، وبذلك نقضوا عهدهم فأصبح فى حل من حربهم ـــ فحاصرهم حتى أجلاهم عن المدينة ونزل قوله تعالى « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا

يأولى الأبصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار ، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب » .

لقد فتح النبى صلى الله عليه وسلم لليهود صفحة طيبة من حسن العلاقة وطيب المعاملة — وأقرهم على ديانتهم عملا بمبدأ الاسلام الذى يدعو الى احترام أهل الكتاب ، ولكنهم لم يكونوا على مستوى هذه الثقة التى أراد النبى أن يضعها فيهم ، بل كانوا على مستوى طبعهم الغادر الذى قتلوا به الأنبياء وسفكوا به الدماء ، وكان لزاما ليستقر وضع المسلمين فى المدينة ويفرغ بالهم لنشر مبادىء الدين أن يقف من هؤلاء الناقضين للعهد موقفا حازما ، فأجلاهم عنها وقال كعب بن مالك فى جلاء هؤلاء اليهود من بنى النضير : —

لقد خزيت بغدرتها الحبور
كذاك الدهر ذو صرف يدور
وذلك أنهم كفروا برب
عزيز أمره أمر كبير
وقد أوتوا معا فهما وعلما
وجاءهم من الله النذير
نذير صادق أدى كتابا
وآيات مبينة تنير
فقالوا ما أتيت بأمر صدق
وأنت بمنكر منا جدير
فذاقوا غب أمرهم وبالا
لكل ثلاثة منهم بعير

ولكن هل تعلم بقية اليهود من هذا الدرس القاسى ؟

وهل تركوا غدرهم ومحالهم وتخلوا عن فتنتهم وضلالهم ؟

أبدا لم يكفوا عن عـــدوانهم ، فقـــد اتصل اليهود بقـــريش يحرضونها على حـــرب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقالوا لها : انا سنكون معكم على محمد حتى نستأصله • فقال القرشيون : يا معشر يهود ، أنتم أهل الكتاب الأول والعلم بمـــا أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟

قال اليهود ــ والكذب يملى عليهم حديثهم ــ بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه • وهكذا زينت لهم أحقـــادهم الدفينة تزييف الحق وتزيين البـــاطل وتكذيب ما كانوا يؤمنون به • وقد سجل الله سبحانه تعالى فى كتابه الكريم عليهم هـــذا الافتراء العظيم حيث قال : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا ســـبيلا • أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ••• »

وكما اتصلوا بقريش محرضين لهم على حرب رســـول الله اتصلوا كذلك بغطفـــان ، وذكروا لهم قصـــة لقائهم مع قريش ، وكيف أن قريشا نشطت لما دعيت له من قتال الرسول ، فوافقت غطفان على ذلك وأيدتهم عليه ، وجرت أحداث « موقعة الأحزاب» على النحو الذى رسمت له اليهود ، ولكن النتيجة لم تجر على ما توقعت ــ فقد خذل الله الأحزاب وأخزى اليهود ، وأمد الله رسوله بجند من عنده حتى هزم جموع الكفر ومحال الغدر •

ومازال اليهود يحرضون ضد رسول الله ، ويقيمون من حوله الفتن ، ويضعون فى طريقه العقبات حتى لم يجد بدا من حرب يهود بنى قريظة سنة خمس من الهجرة فى أعقاب الانتهاء من غزوة الأحـزاب ، وقد سجل القرآن الكريم هاتين الموقعتين فى سورة الأحزاب فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا ، وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا •• الى قوله تعالى •• ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا •• وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شىء قديرا • »

وسجل الشعر العربى على لسان حسان بن ثابت كفر يهود بنى قريظة الذى انتهى بهم هذه النهاية المتوقعة قائلا : ـــ

تفاقد معشر نصروا قريشا
وليس لهم ببلدتهم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه
وهم عمى من التوراة بور
كفرتم بالقرآن وقد أتيتم
بتصديق الذى قال النذير

ولكن فتنة اليهود لم تنقطع تماما الا بفتح خيبر بعد الحديبية• ذلك الفتح الذى بشر الله به نبيه وأقر به عينه فى قوله تعالى :

« انا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا » .

ولقد حاولت احدى اليهوديات ، أن تقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم غيلة ، فأهدت له شاة مسمومة ولكن الله نجاه من شرها وأبطل سحرها .

من خلال هذا العرض الموجز ندرك طبيعة اليهود السيئة التى سولت لهم معاداة الرسول الذى وجدوه مكتوبا عندهم فى التوراة وقد عرفتهم صفاته وعلاماته ، وأمرتهم بالايمان به والتصديق بدعوته ، ولكن بدلا من أن يكونوا له سندا وعونا على أداء رسالته باعتبارهم أهل كتاب سماوى ، بالغوا فى عدائه ، وكانوا قمة فى الجهر بالكفر به ومناوأته وتحريض خصومه عليه ، والتفنن فى صور الايذاء له .

وان كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد تخلص من كيدهم قديما فأجلاهم عن جزيرة العرب الا أن أعقابهم من بعدهم مازالوا يحملون بذرة الحقد والكراهية للعرب والمسلمين ، وهاهم أولاء قد وقفوا أنفسهم على مناوأتهم فى كل مكان وأجمعوا جهودهم على الكيد للاسلام والافتراء عليه والنيل منه ، وقد ظهرت لهم محاولات متعددة لتحريف القرآن الكريم ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل الواحدة تلو الأخرى ، لأن الله قد تعهد بحفظ كتابه العزيز وقال فى ذلك : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وكان عداء اليهود للاسلام شديدا لأن مبادئه الكريمة لا تتفق مع ما طبعوا عليه من عناد وشقاق وخيانة ، وقد ألفوا التضليل والكذب والبهتان ، وعاشوا فى ظل تعاليم صنعوها بأنفسهم بعد أن حرفوا التوراة التى أنزلها الله وأنزل الانجيل والقرآن مصدقا لهـا • ولقد عادوا عيسى من قبل بل عادوا أنبياءهم قبل عيسى، حتى دعوا عليهم ولعنوهم ، وتبرأ منهم موسى عليه السـلام بعد أن كان سببا فى انقاذهم من عدوان فرعون الذى سلط عليهم الهلاك والفناء • وعلى لسان موسى عليه السلام جاء قول الحق « رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافـرق بيننا وبين القـوم الفاسـقين » كما حكى عنهم : « لعن الذين كفـروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصواوكانوا يعتدون • كانوا لا يتنـاهون عن منكر فعلـوه ، لبئس ما كانوا يفعلون • ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفى العذاب هم خـالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء، ولكن كثيرا منهم فاسقون • لتجـدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا •• »

وانفجر حقد اليهود على أشده فى القرون الوسيطة والقـرن الأخير ، ومكن لهم الاسـتعمار الذى استظلوا بظله وسـخروه لأغراضهم وتحقيق أهدافهم فمكن لهم فى اغتصاب جزء من أعز أجزاء الوطن العربى هو « فلسطين » •

لقد كان اعلان اسرائيل جريرة التحالف الصهيونى الاستعمارى، ومن خــلال هذا التحــالف انطلق اليهود يعيثون فى فلســطين فسادا ، يسفكون دماء العرب بغير حق ، ويطردونهم من ديارهم ويستصفون أموالهم ويحولونهم الى شعب لاجىء يعيش على صدقات الأمم ، وسولت لهم نشوة النصر الرخيص الذى سرقوه فى غفلة من الزمن أن يفعلوا ما يشاءون دون أن يخشوا سلطة من ضمير عالمى أو دينى أو انسانى •• ولم ينج من عدوانهم الغاشم معبد أو مدرسة أو مصنع • وما حريق المسجد الأقصى ونهب كنيسة القيامة عنا ببعيد ••

ولا نبالغ اذا قلنا ان ما يلاقيه العالم كله اليوم من ويلات وأزمات انما هو ثمرة مرة لتلك الشجرة الملعونة التى غرســها الاستعمار فى قلب الوطن العربى لتصبح فيما بعد بؤرة فســاد تتحكم فى رقاب العالم ومطالب الشعوب •

واذن فجهاد العرب اليوم مقدس ، ومعركتهم ضــد تلك الفئة الباغية المعتدية واجب يدعو اليه الدين ليعود هؤلاء اللاجئون الى أوطانهم ، ولترد الأرض المغصوبة الى أهلها ، وليعتز الوطن بأبنــائه ، ولتصــبح كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفــروا هى السفلى ، وليستريح العالم من هــذا الداء الخبيث الذى استشرى من هذه الجرثومة الخبيثة « اسرائيل » ، وليتخلص من سياسة ارهابية عنصرية لا سند لها من منطق أو خلق أو ضمير أو مبدأ دينى قويم •

رَمَضَانُ وَالْجِهَاد

٣ ـــ دراسات فى الأسلام

التربية الروحية للصيام وأثرها

لحكمة عظيمة اختار الله رمضـــان شهرا للصوم ومدرســـة للجهاد ، ففيه نزل القرآن الكريم « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى الناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه » •

وحكمة الصوم تظهر فى توجيه الانسان عن طريق الصوم الى مختلف الفضائل ، فهو يهذب الوجدان ويرقق الشـــعور ويربى عاطفة الخير ويسمو بالفرد الى مرتبة كريمة من مراتب الصفاء التى تطبعه على البذل والتضحية والفداء • انه كما يقول الشيخ عبد الوهاب الساكت فى مجلة منبر الاسلام « يربى خلق الارادة القوية التى تكسب الانسان شجاعة واقداما • فمن لا ارادة له قوية لا يستطيع أن يواجه الحياة مواجهة فعالة منتجة ، ويربى خلق الأمانة لأن الصوم سر بين العبد وربه ، فالذى يراقب مولاه فى صيامه يؤمن على كل ما يسند اليه من الأعمال • انه كذلك يربى خلق التضحية حيث يضحى الصائم بمطالب نفسه فى ســـبيل مرضاة ربه كابحا جماح شهوته منصرفا عن شـــيطانه وهواه ، وتلك صـــفات تكون الأمم التى تريد أن تنهض وتكون قائدة لغيرها • انها تحصن أبناءها من مفاسد الأخلاق وتعدهم لمصارعة الشدائد ومواجهة أحداث الحياة ، انها تعد نفوسهم اعـــدادا كاملا يرتفع بها الى مستوى الانسانية الفاضلة فيتجه الى الخير والبر والاحسان » •

ولعل فى هذا ما يلقى الضـوء على أثر هذه التربية الروحية التى يربيها الصـوم للمسلمين ، فبالصوم تتحـرر ارادتهم من الخوف ، والجوع يقهر دواعى النفس ويقضى على نوازع الشهوة والشر فتبرز آثار الروح قوية صاعدة تدفع الانسان الى المثل العليا ويحقق القيم الخلقية الرائعة ، وجنى ثمار النصر شـهية يانعة ، ولعل السر فى ذلك كما يقول الدكتور ابراهيم شنعوط أن البطون الجائعة وراءها أبدا نفوس طائعة وقلوب ضارعة وأرواح شفافة قد رأت من وراء الغيب أن الله يدافع عن الذين آمنوا •

ولقد حدثت فى رمضان معارك كثيرة حالف النصر فيها المسلمين لأنهم تحققوا فيها بروح الاسـلام وتحصـنوا بحكمة الصوم وانتصروا بسلطان الجوع الذى قهر شـهوات النفوس وكسر حدة الطمع فيها وقلم أظفار البغى وأبرز سلطان الروح وقوتها الجبارة الهائلة التى تتحدى المستحيل وتستهين بالصعاب وتقتحم المعارك ، وقرب الصلة بين الانسان وخالقه فهو يستجيب لدعائه ويرد على ندائه ويصغى الى تضرعه ويثنى على تطوعه ويكون معه حيث كان مصداقا لقوله تعالى : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » •

وهذه أمثلة من المعارك الرائعة التى دارت فى رمضان وانتصر فيها المسلمون بقوة ارادتهم وعمق عقيدتهم وصفاء روحهم •

موقعة بدر الكبرى :

فى صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان من السـنة الثانية من الهجرة وقعت أحداث هذه المعركة التى تسمى غزوة

بدر الكبرى وكان يومها يوم الفرقان ، فقد أمد الله فيه نبيه صلى الله عليه وسلم والمسلمين بالملائكة ، وأعز فيه الاسلام وأهله ، ودفع الشرك وأذله ، مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو الذى كان على أهبة كاملة وعدد وفير . قال تعالى « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ـــ فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

سبب المعركة :

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبا سفيان بن حرب مقبلا من الشام فى تجارة عظيمة لقريش يحملها ألف بعير ، فندب الناس الى لقاء هذه القافلة قائلا لهم : هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها ، فأسرع البعض وثقل البعض الذين لم يظنوا أن الرسول سيلقى حربا ، وقد تنافس كثير من المسلمين فى ذلك حتى ان الرجل كان يساهم أباه فى الخروج .

ولابد من الاشارة هنا الى أن الهدف من هذه الغزوة لم يكن بقصد قطع الطريق على القافلة بقدر ما هو تعزيز لقوة المسلمين الذين أخرجهم هؤلاء الكفار من ديارهم وطردهم من مكة بعد أن استولوا على أموالهم وصادروا ممتلكاتهم وأذاقوهم ألوانا شتى من العذاب والنكال واستغلوا أموال هؤلاء المطرودين فى هذه التجارة الواسعة ، فوقوف المسلمين فى طريقها انما هو ارجاع للحق الى أصحابه واعادة المال الى أربابه .

ولكن أبا سفيان كان حريصا فى أثناء رجوعه ، فقد أخذ يتحسس الأخبار حتى أدرك تجمع المسلمين لملاقاته ، فغير طريقه ، وأرسل الى قريش بمكة يخبرها بتجمع المسلمين ويحرضها على ملاقاتهم .

وأقبلت قـــريش بخيلائها تباهى بنفســـها وقوتها ، تتهدد وتتوعد ، وشاء القدر أن يرى أحد الهاشميين ــ وهو « جهيم بن الصلت بن محزمة بن المطلب » وكان فى صفوف المشركين ــ رؤيا يقصها قائلا : ــ انى رأيت فيما يرى النائم ــ وانى لبين النائم واليقظان ــ اذ نظرت الى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، فأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وفلان وفلان ، فعدد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ، ثم رأيته ضرب فى لبة بعيره ثم أرسله فى العسكر ، فما بقى خباء من أخبية المعسكر الا أصابه نضح من دمه .

وبلغت هذه الرؤيا أبا جهل فقال : وهذا أيضا بنى آخـــر من بنى المطلب ، سيعلم غدا من المقتول ان نحن التقينا .

الرسول يستشير أصحابه :

وجاء رسول الله يبادر قريشا الماء ، حتى جاء أدنى ماء من بدر فنـــزل به ، وظهـــرت ســـماحة الرسول وديموقراطيته فى استشارة أصـــحابه وقبوله ما صـــلح من آرائهم . فقد جاءه الحباب بن المنذر يقول له : يا رسول الله ، أهذا المنزل أمرك به الله أم هو الرأى والمكيدة ؟ فقال الرسول بل هو الرأى والمكيدة. فقال الحباب : فهذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فتنزل ، ثم تغور ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ، فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى .

كما أن سعد بن معاذ أشار على الرسول أن يبنوا له عريشا يكون فيه وتعد عنده الركائب • ثم قال له : ونلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وان كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك • فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا •

النبى يدعو الله :

ولما كان يوم بدر نظر رسول الله الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وتسعة عشر رجلا ، فاستقبل القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه : اللهم أنجز لى ماوعدتنى ، اللهم آت ماوعدتنى ، اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد فى الأرض ، فمازال يهتف بربه مادا يديه مستقبلا القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه ، وقال : يانبى الله ، كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك • ونزل فى ذلك قوله تعالى « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين • وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » فأمده الله بالملائكة ــ وقال الرسول لأبى بكر : أبشر فقد أتى نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع •

الرسول يبشر بالنصر :

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وهو يثب فى الدرع قائلا : سيهزم الجمع ويولون الدبر ، وأخذ

يحرض المسلمين ويقول لهم : والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة.

وظهرت فدائية المسلمين واستبسالهم وتسابقهم الى الموت واستهانتهم به ، حتى استشهد من استشهد منهم وهو حريص على نيل هذه الشهادة التى تكتب له الخلود فى ساحة الشهداء .

التهاب المعركة :

واستمرت المعركة حامية الوطيس طول النهار ، وقد اختلط المسلمون بالمشركين ، وعلا الصياح ، وتقابل الأقرباء وجها لوجه، فالولد أمام أبيه،والأخ أمام أخيه ، كل يقاتل عن دينه وعقيدته، والرسول بينهم بسيفه يقاتل ويشجع قائلا:ادفعوهم فى صدورهم واضربوهم فى نحورهم فان الله قد أغاثكم بالملائكة ، وها هى الملائكة بينكم تمدكم وهذا هو قول الله تعالى « اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » .

وتقابل أبو عبيدة بن الجراح مع أبيه الجراح الذى كان شاهرا سيفه يحاول به قتل ابنه ، فقال له أبو عبيدة : يا أبت ابتعد عنى حتى لا يقال ان أبا عبيدة قتل أباه ، ولكن الجراح أصر على قتل ابنه ، فقال له أبو عبيدة يا أبت ان رابطة الله وايمانى به أقوى من أبوتك لى ، واضطر أبو عبيدة الى قتل أبيه دفاعا عن دين الله ورسوله ونفسه ، وهكذا تتجلى العقيدة القوية الملهمة التى يهون فى طريقها كل شىء وتضعف أمامها أى رابطة أخرى سوى الرابطة التى تحض على الخير وتقوى دعائم

الحق • ونزل فى ذلك قوله تعالى « لا تجـد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسـوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشـيرتهم ، اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » •

النصر يتحقق :

وتجلت المعركة عن نصر حاسم للمسلمين وقد تحقق بايمانهم القوى وعقيدتهم الراسخة وعزيمتهم الصامدة وقيادتهم الحكيمة الرشيدة وتأييد الله لهم الذى وعدهم النصر على هؤلاء المشركين المتجبرين الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله • وقتل فى هذه الموقعة من المشركين كثير من أئمة الكفر بلغ عددهم أكثر من سبعين قتيلا فيهم أغنياء قريش وصناديدها ، واستشهد من المسلمين بضعة عشر رجلا خالدين فى الجنة مصداقا لقوله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » •

وهكذا انتصرت القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، وصـدق الله اذ يقول : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصـابرين » •

فتح مـكة :

ولم تكن معركة بدر التى حدثت فى رمضان الا حلقة فى سلسلة الانتصارات الرائعة التى تحققت فى خلال هذا الشهر الـكريم عبر العصور ، ومن هذه الحلقات « فتح مكة » الذى تم فى العام الثامن من الهجرة •

وكان فتح مكة ضرورة لابد منها ، فقد آن للمهــاجرين أن يعودوا الى وطنهم الأول وآن البيت الحرام أن يطهر من الأوثان التى تدنس أبهاءه وتغض من شرفه وبهــائه حيث نصبها الكفار حول الكعبة المشرفة التى بناها أبو الأنبياء والمسلمين ابراهيم الخليل عليه الســلام « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت ، واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم • ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رســولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » •

وقد استجاب الله دعوة ابراهيم فأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولكن المشركين آذوه وأخرجوه هو ومن معه من مكة ، فلابد أن يعــود الى هذا البلد الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، ولا يحق لهذا البلد الطــاهر أن يكون مقــر الوثنية والشرك ، واذن فقد آن له أن يتطهر من الوثنية والشرك « يأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا •• »

وأعد النبى صلى الله عليه وسلم عدته بعد أن نقضت قريش عهدها الذى أبرمته معه فى الحــديبية ، وجهز جيشا قوامه عشرة الاف مقاتل على أتم اعداد وأفضل تجهيز ، ووضع النبى لحملته هذه الخطة الكاملة التى اتخذ لها كافة الاحتياطات واستوفى لها جميع الاستحكامات ، بما فى ذلك المفاجأة الكاملة لقريش •

وكان من الضرورى لهذه الحملة أن تتم ، فانه لم يعد فى قوس الصبر منزع ، بعد أن وصلت قريش الى نهاية الطغيان واللجاج

فاخترقت المعاهدات ونكثت بالعهود وضربت بالسلام عرض الحائط • على الرغم من تخلي بعض قوادها عنها من أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن أبي طلحة الذين أسلموا طواعية بعد أن تبين لهم روح الاسلام الصافية وحقيقته الواضحة ومبادئه الكريمة السمحة •

لقد أصبحت مكة أشبه بالمدينة المفتوحة ــ كما يقول العقاد ــ وأصبحت قضية اغلاقها في وجه الدين الجديد قضية عبث وحبوط ، ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم هؤلاء اليه : رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها •

وتم لهذه الحملة ما أراد لها قائدها العظيم محمد صلوات الله عليه وفتحت مكة بدون قتال فيما عدا الجهة التي كان خالد ابن الوليد قائدا عليها ذلك لأنه قوبل بالقتال من قوم كانوا بالأمس يعدونه أكبر عضد لهم في خذلان الاسلام والترصد لأصحابه ، وكأن الله جل وعلا كما جاء في كتاب عبقرية خالد • أراد لخالد أن تكون له يد في قتال رفقائه الذين حملوا السلاح معه بالأمس في وجه الاسلام حتى ينصر الاسلام ضد الجاهلية كما نصر الجاهلية ضد الاسلام فيما مضى من وقائع •

انسانية الرسول في فتح مكة :

وكانت انسانية الرسول ورحمته فوق كل مثال في هذه الموقعة، فقد جمع كفار مكة بعد أن تسلم زمام الأمر فيها واستولى على مقاليدها وقال لهم : يا معشر قريش ، ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم • فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء •

وأمر الرسول بالأصنام فكسرت وهو يتلو قوله تعالى : «وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » •

وبذلك انطوت صفحة قاتمة من صفحات الكفر والشقاق الى يوم القيامة • وتطهرت مكة الى الأبد من رجس الوثنية ، وبدأت تستقبل وفود المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها يرفعون أصواتهم بالتلبية ويحرمون اليها يحملون معهم كل مشاعر التقديس والجلال حيث يوجد أول بيت لله وضعت قواعده فى الأرض •

وساهمت قبلة المسلمين الثانية فى توحيد جهاد المسلمين وجهودهم عبر الأزمنة ، حتى اذا ما جاء يوم العاشر من رمضان كانت هذه الأرض المقدسة بقيادة عاهلها الكريم شعلة تتأجج من الثورة والحماس وحملت عبئها كاملا فى هذه المعركة المقدسة التى أذن الله أن تنجلى عن نصر مؤزر يكتب صفحة أخرى مشرقة فى تاريخ العرب المجيد •

غزوة تبوك :

وكانت غزوة « تبوك » فى رمضان سنة تسع من الهجرة ، وقد هزت هذه الغزوة كيان الروم فتصدعت أركان دولتهم •

وتبوك •• كما تقول دائرة المعارف الاسلامية •• بلدة فى طريق الحج وعلى السكة الحديدية الممتدة من دمشق الى المدينة• وهى على مسيرة أربعة أيام من الحجر واثنى عشر يوما من المدينة كما قال ياقوت •

وقد كانت تبوك فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم على الحدود الشمالية لجزيرة العرب تبدأ بعدها حدود الدولة البيزنطية التى تسمى دولة الروم • وكانت مسيرة النبى اليها سببا فيما وصلت اليه هذه المدينة من الشهرة •

ويطلق على هذا الجيش الذى صاحب النبى فى غزوته : جيش العسرة لما كان يلقاه المسلمون وقتئذ من جهد وبلاء فى تجهيز أنفسهم لهذه الغزوة ، ولما كابدوه من مشقة فى التوجه الى ميدان المعركة والعودة منها •

ولكنه الى جانب ذلك ظهر ايمانهم العميق وعقيدتهم الراسخة وتنافسهم الشديد فى البذل والايثار والتضحية بالمال والنفس • أتى عثمان بن عفان بألف دينار وضعها فى حجر رسول الله وجهز ألف مقاتل بما يحتاجون اليه من السلاح والظهر ، وأتى أبو بكر بكل مافى بيته • من مال وألقاه بين يدى النبى ، وحين سأله الرسول عما تركه لأولاده قال : تركت لهم الله ورسوله • كلمة تفيض بالقدسية والايمان وتنطق بما فى نفس الصديق رضى الله عنه من ثقة شديدة فى الله تملؤه بالعزة والاستبشار ••

وسار المسلمون يقودهم الرسول الى تبوك حتى وصلوا اليها وقد سبقتهم الأنباء الى المدينة التى هرب سكانها من الروم وعاملة ولخم وجذام عند وصوله اليها • ومن بقى منهم صالحوه وأعطوه الجزية وكتب لهم عقد الصلح ثم قفل راجعا الى المدينة بعد أن أقام بتبوك بضع عشرة ليلة تأتيه القبائل فيصالحونه ويؤدون له الجزية • ومن هؤلاء أهل أيلة وأذرح وقد أدى ذلك الى اخضاعهم فيما بعد •

ولعلنا ننبه هنا الى ماساقته دائرة المعارف الاسلامية فى مادة « تبوك » فى قولها : ان النبى انصرف عن عزمه فى الوصول الى الأراضى التى يسكنها العرب شمالها لأن شدة الحر أضعفت من عزيمة جنده ـ قائلين : ان رجوع النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن بسبب ضعف عزيمـة الجند الذين خرجـوا طائعين مختـارين فى سـبيل الله وهم على يقين بما سوف يلاقونه من صعاب ولكنهم لم يعبئوا بها • ولم يتعود المسلمون والرسول قائدهم أن تضعف عزائمهم أبدا وبخاصة حين يرون القـدوة الحسنة ماثلة أمامهم تمدهم بالقوة وتبعث فيهم الهمة والنشاط• ولكن رجوعه كان بسبب تحقيق هدفه من غزوته فقد فر أمامه من فر وصالح من صالح وأخضع من أخضع،ولم يكن النبى متعطشا للقتال ولكنه كان يضع أسس السلام القوى الذى يحرسه العدل وقد تحقق فلا داعى اذن للامعان فى هذه الحرب •

موقعة الفراض :

« الفراض » تقع فى أعلى العراق بين مسالح الفرس والروم، وقد دارت فيها موقعة بين المسلمين بقيادة خالدبن الوليد وبين جيش الروم الذى تظاهر بعرب البادية المؤيدين لدولتى الفرس والروم • وكان النصر فيها حاسما لجيش المسلمين •

وقد اختتم خالد بهذه الموقعة آخر أعماله الكبرى التى وقعت فى العراق ، وتدل دلالة حاسمة على عجز الدولتين معا الفارسية والرومية أمام القوة الاسلامية الفتية النشطة •

فقد اجتمع فيها الآلاف من عرب البادية وجيش الروم ، وكان يوشك أن يظـاهرهم فى ذلك جيش فارسى كثيف لولا انشـغال

الفارسيين بخلافاتهم الناشبة حول الملك ووراثته • وهكذا أراد الله لخالد أن يهيىء له فرصة المجابهة لعدوين فقط ، وان كانت عبقرية خالد واستبسال المسلمين معه لا يفت فى عضدهما أن يكون بجوار هذين العدوين أعداء آخرون ، وكم تمكن خالد وجنوده من الانتصار على أعداد كثيفة من الفرس والروم مؤيدة بالعدة والسلاح وممدودة بالمهرة من القواد • وموقعة اليرموك التى وقعت فيما بعد خير شاهد على ذلك •

المعركة :

قال الروم لخالد وهم يومذاك خلف النهر:اما أن تعبروا الينا واما أن نعبر اليكم •

فقال لهم خالد فى ثقة واعتزاز : بل اعبروا أنتم ان شئتم • وتركهم حتى عبروا ثم حصرهم بينه وبين النهر حتى لايهرب منهم هارب •

وأرسل الفرسان وحملة الرماح حولهم ليعزلوهم قطيعا قطيعا ويقطعون عليهم الطرق ويضيقون عليهم المسالك حتى تمكنوا من حصدهم حصدا وقد شبه العقاد حالهم تلك بحالة المحكوم عليهم فى ساحة التنفيذ بالاعدام •

لقد عبر هؤلاء النهر ولكنه كان عبورا مشئوما عليهم لأنهم كانوا قد أخذتهم العزة بالاثم واجتمعوا على باطل ولم يطلبوا حقا بل كانوا يناصرون الطاغوت فخذلهم الله •

أما جيشنا الباسل فى العاشر من رمضان فقد عبر القناة وقد رصـــد العدو أمامه كل ما أمكنه وتفتقت عنه حيلته الشيطانية من عوائق وعقبات ولكن جيشنا رغم ذلك انتصر لأنه كان مـــع الحق وكان الحق معه • ولينصرن الله من ينصره ان الله لقـــوى عزيز •

وقد انتهت بموقعة « القراض » التى خاضها المسلمون بقيادة خالد احدى أساطير الروم الذين كانوا يزعمون بأن العـــرب لا حول لهم ولا قـــوة وأن مقدرتهم فى القتال محـــدودة وأنهم سرعان مايولون الأدبار أمام الجيوش المدربة الحديثة •

ما أشبه الليلة بالبارحة • هذا نفسه هو الذى كان يزعمـــه العدو الصهيونى عن الجيش العربى الحديث • حيث كان يردد أســـاطيره ويرجف بأن جيش اسرائيـــل لا يقهر وخط بارليف لا يمكن اختراقه وأنه لا طاقة للعرب على حرب اسرائيل • هكذا كان يزعم • ولكن الحقيقة تكشفت أمامه وعرف عن نفســـه أنه كان كاذبا وفضح نفســـه أمام الرأى العام العالمى وتكشـــفت الحقائق أمام الشعوب بأن فى مصر رجالا وفى العرب أســـودا وانهزم الباطل الصهيونى أمام الحق العربى •

وكانت موقعة « الفراض » فى رمضان فى السنة الثانية عشرة من الهجرة •

فتح الأندلس :

فى شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين من الهجرة الشريفة تم فتح الأندلس « شبه جزيرة اسبانيا الآن » بقيادة طارق بن زياد

لتخليص أهلها من الظلم الواقع عليهم • بسبب ولاية «لذريق» الذى اغتصب العرش من الملك الشرعى « غيطشـــه » وســـار سيرة سيئة فى البلاد أدت الىوقوع كثير من المظالم الاجتماعية• فاختار موسى بن نصير الذى كان واليا على بلاد المغرب من قبل عبد الملك بن مروان قائده طارق بن زياد ليكون على رأس هذه الحملة التى وجهها لفتح الأندلس •

وقد اختاره لمـــا عرف فيـــه من القوة والبـــأس والشجاعة والكفاءة والقدرة على مواجهة الجيوش الاسبانية الكثيفة •

ســـير الحملة :

واختار طارق رجاله وأعـــد بعض الســـفن التى نقلتهم الى الشاطىء الغربى فى موجات متتالية • وبعد أن تم نقلهم أمـــر باحراق السفن ــ وخطب فى جنوده خطبته المشهورة التى زادت من التهاب حماسة جنوده وضـــاعفت من رغبتهم فى البطـــولة والاستشهاد • وقد جاء فى هذه الخطبة : ــ

« أيها الناس ، أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم ، وليس لكم والله الا الصـــدق والصبر ، واعلموا أنـــكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام،وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأســـلحته وأقـــواته موفورة ، وأنتم لاوزر لـــكم الا سيوفكم ــ ولا أقوات لكم الا ما تستخلصونه من أيدى عدوكم • وان انتهاز الفرصة فيه لمكن ان سمحتم لأنفسكم بالموت وانى لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيهاالنفوس ألا وانى أبدأبنفسى واعلموا أنكم ان صبرتم

على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الالذ طويلا ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفس • واعلموا أنى أول مجيب الى مادعوتكم اليـــه ، وانى عنـــد ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغيــة القوم « لذريق » فقاتله ان شاء الله تعالى،فاحملوا معى •• »•

وتعد هذه الخطبة احدى المعالم البارزة فى تاريخ الحروب ، ولا يجهلن أحد قيمة الكلمة فى الهاب المشـــاعر والأحاسيس ، وبخاصة اذا كانت هذه الكلمة صادرة عن قلب مؤمن بما يقول وروح تملؤها العقيدة الصادقة واليقين الملهم •

حملة طريف السابقة :

ولم تكن حملة طارق لفتح الأندلس هى الأولى ، ولكنه قد سبقها قبل عام فى رمضان أيضا سنة احدى وتسعين سرية من خمسمائة مقاتل بقيادة طريف بن مالك المعافرى • ونزل طريف فى جزيرة من جزر الأندلس سميت باسمه ، وعادت هذه السرية الى « طنجة » سالمة تجر وراءها غنائم طائلة ، وكانت بمثابة اســـتطلاع قام على أثره طـــارق بحملته الكبرى التى فتحت الأندلس بعد حملة طريف بعام •

وقد أبحرت حملة طارق فى رجب سنة اثنين وتسعين فى أربعة سفن ما زالت تنقل جنوده الى جبل « كالبى » الذى سمى فيما بعد بجبل طارق حتى نقلهم جميعا وقيل انه رأى النبى صـــلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة يمشون أمامه على الماء ، وبشره النبى صلى الله عليه وســـلم بالفتح فانتبه من نومه مسرورا مستبشرا ، وبشر أصحابه وثابت اليه نفسه ، فقويت روحه واشتد عزمه ووثق فى النصر •

لقاء الجيشين :

وكان لقاء طارق مع الجيش الذى أعده « لذريق » لملاقاته وقوامه مائة ألف جندى فى أكمل عدة وأتم سلاح ، فى الثامن والعشرين من رمضان . وكان « لذريق » قد أعد خطة يجهز بها على جيش المسلمين ، فولى ميمنة جيشه وميسرته ابنى الملك المخلوع . ولكن الله أراد لجيش المسلمين النصر وأراد لجند عدوه الخذلان ، فلم تكد تبدأ المعركة على حسب الخطة التى أرادها « لذريق » حتى رأى الأعداء من جيش طارق ما أذهلهم وأطار قلوبهم شعاعا . فلم تغن عنهم كثرتهم شيئا ولم تفدهم وفرة أسلحتهم أو حضور مئونتهم فولوا الأدبار ، وسرعان ما تخلى قائدا الميمنة والميسرة عن مهمتهما ، وكأنهما قد تذكرا أباهما المخلوع فى هذا الوقت العصيب وتغلبت العاطفة الخاصة على العاطفة الوطنية لأنه لم يكن لها ما يغذيها من قوى وأواصر . لقد ذكرا الملك المغتصب وسنحت لهما فرصة الانتقام من هذا الملك الغادر وأذهلتهما قوة المسلمين وبسالتهم وحسن لقائهم وحضور بديهتهم فوليا مع الجند المأخوذ الأدبار ، واغتنم طارق هذه الفرصة الثمينة فلم يضيعها ، وكر على عدوه كرة أفقدته جنانه فألقى سلاحه ولاذ بالفرار ، وتبعه طارق ومن معه يعملون فيهم سيوفهم ورماحهم حتى ألجأوا الجيش الهارب بقيادة غيته الى ضفاف بحيرة ألقى فيها « لذريق » بنفسه طالبا النجاة ، فمات فيها غريقا ، وعثر المسلمون على فرسه الأشهب غاطسا فى الطين وعليه سرج مكلل بالياقوت والزبرجد .

وهكذا حسمت هذه الموقعة مصير أسبانيا فى العصر الوسيط وقد ظلت الأندلس تحت امرة المسلمين زهاء تسعة قرون ،

كونوا فيها دولة اسلامية مزهرة كانت تنافس دولة العباسيين فى المشرق ، وفى ظلالها تخرج آلاف العلماء والفقهاء والفلاسفة والزهاد والمتصوفة الذين تركوا فى جميع دروب الحياة العربية آثارا بعيـدة المدى ، كما تركوا فى العـالم كله من أقصاه الى أقصاه صدى واسعا ٠

لقد اغتنى العرب فى الأندلس بنهضة العلوم والفنون وأنشئوا المكتبات وشجعوا على التقدم العلمى والفنى حتى أثمرت لذلك النهضـة الأدبية والعمرانية والاجتماعية والفنية ثمارا يانعة ، ونشطت العقول نشاطا واسعا ، ولم يأفل نجم هـذه الدولة — كما يقول المرحوم عبد الجواد رمضان — الا بعد أن أفعمت البلاد بالعلماء والفلاسفة والأدباء ومعاهد العلم ودور الكتب ٠ وعن طريق الأندلس انتقلت الحضارة العربية الى جميع بقاع أوربا فأضاءت ظلامها وأنارت عقول أهلها بنور العلم والمعرفة والتقدم ٠ وكان هذا سببا فى ذلك الرقى العظيم الذى أصبحت عليه أوربا فيما بعد والذى وصلت الى منتهاه الآن ٠

فتح بيت المقدس :

فى العام الثالث والثمانين من القرن السادس الهجرى تم على يد القائد العـربى العظيم صـلاح الدين الأيوبى فتـح بيت المقدس ، واسـتنقاذه من أيدى الصليبيين الذين تمكنوا فى حملاتهم البربرية المسعورة من أن يبسطوا سلطانهم عليه ردحا من الزمن ٠

تمكن صلاح الدين أن يوحد جهود مصر والشام فى قهـر هؤلاء الصليبيين فى موقعة حاسمة مشهورة فى التاريخ هى موقعة

« حطين » ثم جعل شغله الشاغل بعد ذلك أن يعيد قبلة المسلمين الأولى الى أصحابها الحقيقيين •

لقد تستر الصليبيون وراء الصليب وأخفوا أهدافهم الحقيقية وراء بستار زائف من الدين ، ولا هدف لهم فى الحقيقة الا الاستعمار والاستغلال ، فجهز صلاح الدين جيوشه وأطبق على بيب المقدس واستخلصه وأعاده الى العرب أصحاب البلاد الشرعيين •

قصة الفتح :

بعد موقعة « حطين » أرسل الملك الناصر صلاح الدين رسالة الى الفرنج فى بيت المقدس يطلب منهم ارجاع المدينة المقدسة الى أهلها ، فرفضوا فتحرك ــ كما يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة فى كتابه عن صلاح الدين ــ نحوهم بجيش عظيم ، وطاف حول أسوار المدينة خمسة أيام كاملة ، وصل فى نهايتها الى الجهة التى أمكنه أن يقتحم منها المدينة • فدهمها والفرنج يرون أن بذل نفوسهم وأموالهم بعض ما يجب عليهم لحفظ هذا البلد •

ولما استيقن الفرنج الهلكة ان استمروا فى المقاومة استقر رأيهم على طلب الصلح ، واختاروا للمفاوضة عنهم صاحب الرملة •

قال هذا الرجل لصلاح الدين يريد ارهابه : اعلم أيها السلطان أنه فى هذه المدينة مالا تعلمه أنت ولا قومك ، فان فيها أناسا يحبون الموت ويكرهون الحياة ، ثم لا يجدون بأسا من قتل أبنائهم ونسائهم اذا لزم الأمر ، ويهون ذلك عليهم •

فقال له صـــلاح الدين فى ثقة وهدوء وعدم مبالاة : ان هذه البلاد التى تسكنونها بلاد الاســـلام ، وأنتم الذين أتيتم من وراء البحر ، وأطلقتم على أنفســـكم اسم الصليبيين • وبقى وجودكم بيننا عارا على شرفنا ، ولن يغمض لنا جفن أو يرتاح لنا قلب حتى تجلوا عن هذه الأرض •

وصمم السلطان على موقفه وأعد للأمر عدته • فلما رأوا هذا التصميم ونظروا الى ما جمعه الســـلطان حول المدينة من رجال أشداء وجند أقوياء لا يبالون الموت ولا يرهبون الهول • رضخ الصـــليبيون لمـــا طلبه السلطان صلاح الدين ، وقرروا الرحيل نزولا على أوامره بعد أن اعتبـــرهم أسرى ، وأعطـــاهم مهلة وجيزة لا تزيد على أربعين يوما يعدون فيها أنفســـهم للرحيل ، على أن يفتدى الرجل نفســـه بعشرة دنانير ، والمرأة بخمســـة دنانير والولد بدينارين ، والا فهو أسير •

وعلى الرغم من ذلك وقبولهم هذا الأمر فان صـــلاح الدين أبى قلبه الكبير الا أن يمتلىء عطفا ورحمة للكثيرين من هـــؤلاء الغاصبين ، فقد تنـــازل عن هذا الشرط فى مناســـبات كثيرة ، ضـــاربا بذلك المثل العظيم لســـماحة الاسلام ورحمته ولشهامة العربى ومروءته •

ومن ذلك أن امرأة قد تقدم بها العمر تمشى الهوينا وتعتمد فى سيرها على خدم يحملونها ، رآها السلطان فأمر بمن يدركها ويعرض عليها خدمات الملك النـــاصر صلاح الدين عند الحاجة اليهـــا •

ومن ذلك أنه أمر برد الفدية لكثير ممن اتضح أنهم فقـراء محتاجون أو مرضى ، وأمر بأن تعد الدواب ليركبها من يحتاج اليها من البائسين والمعوزين والعاجزين •

ومن ذلك أن بطريقا كبيرا خرج بمال كثير لم ينفق منه شيئا فى افتداء الأسرى ، وقد رغب بعض المسـلمين الى السلطان أن يصادر ما معه من مال للانتفـاع به فيما يعود عليهم وعلى الجيوش الاسلامية بالخير ، ولكن السلطان أبى وقال لهم : مالنا حق فى ماله الا عشرة الدنانير التى يفدى بها نفسـه فحسب ، دعوة يخرج بما فى يده فلا حاجة بنا الى ما معه •

ولقد عقب بعض المؤرخين الأوربيين على هذه الحادثة البسيطة بقوله : « هكذا وصل الأمر بالفرنج الى حد أن سلطانا مسـلما يلقى درسا فى المروءة على راهب نصرانى » •

ولكنها هى التعاليم الاسـلامية السمحة التى علمت المسلمين فى حروبهم أنهم يرتفعون عن كل حقد وضـغينة وموجدة ، ولا يكون المسـيطر عليهم الا الرحمـة والعدالة واشـاعة الخير والتسامح ما وسـعهم الى ذلك سبيل ولقد كانت وصاة النبى وأصحابه الى القواد تفيض دائما بالرحمة وتحذرهم من العدوان والشطط •

وعادت القدس مرة أخرى الى رحاب أهلها بعد أن اغتصـبها الصليبيون ما يقرب من ثمانين عاما • وستعود القدس فى أيامنا هذه الى رحاب أهلها مرة أخرى ، وتنجو من دنس الصـهيونية وعارها ان شاء الله تعالى • وقد بدت بوادر النصر المشرقة •

انتصار المسلمين فى موقعتى عين جالوت ومرج الصفر :

وفى هذا الشهر الكريم تمكن المسلمون من تحقيق انتصارين عظيمين ضد الغزوة البربرية التترية التى استهدفت تحطيم الحضارة العظيمة للاسلام والقضاء عليها ، وكانت لمصر اليد الطولى فى تحقيق هذا الانتصار العظيم وبذلك حفظت التراث العربى والاسلامى من الضياع .

لقد هجم التتار على الدولة العربية فى القرن السابع الهجرى كالاعصار الجارف يحطم فى طريقه كل شىء ، ولم تثبت أمامه أى قوة أعدها الخلفاء العباسيون وأمراء الدول الاسلامية .

وكان هؤلاء التتار ــ كما يقول كتاب مصر العربية فى مجال التاريخ ــ مثلا سيئا للوحشية والبربرية المدمرة لا تحترم حضارة ولا تحافظ على عمران ، وقد اتسموا بالتخريب والتدمير وحافظوا على قسوة طباعهم التى اكتسبوها من مواطنهم الأصلية ، فمضوا يحرقون ويدمرون ويقتلون الآمنين وينتهكون حرمة الأبرياء ويخربون المدن ويشيعون الرهبة ، حتى وصلوا بغداد فدمروها وأحرقوا مساجدها وأغرقوا كتبها فى النهر وعبروا عليها ، وفر الخليفة العباسى لاجئا الى مصر فى أيام الظاهر بيبرس الذى بايعه بالخلافة ــ وجهزه بجيش كبير سار به الى العراق محاولا أن يعيد به هجمات التتار ولكنه لم يكتب له النصر وقتل .

وأوغل هؤلاء البربر فى البلاد العربية حتى وصلوا الى غزة وعين جالوت فى فلسطين ولم يبق أمامهم سوى مصر فتطلعوا

اليها ، ووجهوا انذارا الى سلطانها فرد على هذا الانذار أعنف رد وجرد جيشا كثيفا لقى به هؤلاء الطغاة ، وتمكن من هزيمتهم فى عين جالوت هزيمة منكرة تبعها اجلاؤهم عن الشام ٠

ولكن هؤلاء الطغـــاة لم يكفوا عن عدوانهم بعد هذه الهزيمة ولكنهم ظلوا متطلعين الى العودة الى الشام والانطلاق الى مصر، فلجأوا الى الحيلة والمكر ، وسولت لهم أنفسهم أن يتظاهروا بالاسلام كيدا وغدرا ، حتى يتحينوا الفرصة الملائمة لينقضوا بها على المســلمين وينتقموا منهم ، ونجحت هذه الحيلة مؤقتا ، فاسترد التتر زمام الموقف وهزمـــوا المسلمين فى موقعة وادى الخازندار عام ٦٩٩ هـ ٠

الا أن المسلمين سرعان ما انتبهوا الى هذه الخدعة ، وأدركوا أن هؤلاء القوم لم يعلنوا اسلامهم رغبة فى الدين وايمانا به ولكن تسترا وتقية ليحققوا أغراضهم الدنيئة ، فاستأنف المسلمون جهودهم ووحدوا صفوفهم وبدءوا يعـــدون للأمر عدته ، ويرسمون له خطة ويحكمون أمره ٠ حتى جاء رمضان ســـنة اثنتين وسبعمائة ٠

وفى هذا التاريخ المذكور دارت معركة رهيبة بين المسلمين والجيش المغولى فى موقعة « مرج الصفر » فى الجنوب الشرقى لدمشق ٠

بدء المعركة :

وقد اجتمع فى قيادة المسلمين اذ ذاك السلطان الناصر محمد ابن قلاوون والخليفة العباسى ، فأخذ كل من السلطان والخليفة

يعبئان الجهود ، ومعهمـــا القراء يتلون كتاب الله ويحثون على الجهاد ويشوقون الى الجنة ، واتجهت القلوب كلها الى الله فى خشوع وضراعة تســتلهم النصر وتستنجز الوعد ، واشـــترك الفقيه الكبير « ابن تيمية » بكل جهوده فى هذه المعركة ، فأخذ يذكر بالله ورسوله وبفتوحات المسلمين فى رمضان .

وحين التحم الجيشان ثبت السلطان ابن قلاوون أمام الجند فى ميدان المعركة وأمر أن يقيد فرســـه حتى لا تحدثه نفســـه بالهرب ، وانتهى ـ كما يقول الدكتور ابراهيم شعوط ـ يوم السبت الثانى من رمضان فى العام المشار اليه وكفة المصريين المسلمين راجحة ، فلما جاء الليل لجأ التتار الى اقتحام التلول والجبال ، فأحاط بهم المصريون يحرسونهم من الهرب ، ويرمون من قوس واحدة الى وقت الفجر ، وجعلوا يجيئون بهم فى الحبال فتضرب أعناقهم ، ولمـــا ضاق بهم الأمر صمموا على فك الحصار طلبا للنجاة . فأمر السلطان أن يفسحوا لهم الطريق ثم يأخذونهم من الخلف بسيوفهم ، وقد نجحت هذه الخطة وركب المســلمون أقفيتهم حتى كانوا يســقطون فى الأودية والمهالك بعد أن كلت خيولهم وأعيـــاهم الجهد فألقوا بأسلحتهم واستسلموا للقتل ، وأخذ العامة يسخرون منهم ، حتى ان الأعراب كانوا يضللونهم فى الصحارى والطيافى ثم يتخلون عنهم فيموتون عطشا . وبذلك ثأر المسلمون لأنفسهم من الموقعة السابقة فى وادى الخازندار .

وهكذا شاء الله أن يقضى ـ بيد مصر العربية الاسلامية ـ على هذا الأخطبوط التترى العنيف الذى لو تمكن لحول الحيـــاة على وجه الأرض الى جحيم ، ويقضى على كل معالم الحضارة فى كل مكان يقع تحت وطأته كما فعل فى كل شبر حـــل فيـــه .

تلك لمحات سريعة عن بعض المعارك الاسـلامية التى دارت فى خلال هذا الشهر العظيم شهر رمضان ، وقد كلل الله فيها جهود المسلمين بالنجـاح وكتب لهم النصر والغلبة ، ذلك أنهم تركوا طعامهم وشرابهم وشهواتهم لله فكان حقا عليه أن ينصرهم ويثبت أقدامهم ويسدد خطاهم ، مصداقا لقوله جـل وعـلا « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

حتى جاء رمضان فى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف فتم للمصريين نصرهم الأعظم ، وتمكنوا من اقتحام أكبر عائق مائى فى التاريخ وتحطيم أعظم خط دفاعى أقامه عدو عرف بالغـدر وسعة الحيلة وشـدة الحذر . وتحققت سنة الله فى نصرة جند الحق والدفاع عنهم فى ساحة الكرامة والشـهادة . ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .

التَّرْبِيَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ

لقد أقام الاسلام دولته الاسلامية الشامخة على أساس متين من التربية المثالية التى لم تهمل ناحية من نواحى الحياة دون أن يكون له فيها نصيب كبير من الترحيب والبنـاء • واعتنى جيدا بتنشئة المسـلمين على روح الجد والمثابرة والفداء والتضـحية ووضع لذلك أسسا قويمة ومنهجا سـارت عليه مدرسة النبى فى الجهاد وقد تخـرج فى ظل هذه المدرسـة قادة ملهمون وجنود مؤمنون •

النبى القـائد :

لقد تلقوا على يد قائدهم الأول محمـد صلى الله عليه وسلم المجاهد الأعظم كل المبادىء السليمة لتكوين الجندى المثالى • هذه المبادىء التى تجهد المؤسسات العسكرية فى العصورالمتوالية نفسها محاولة الوصول اليها دون جدوى •

ليس من شك فى أن النبى صلى الله عليه وسـلم كان قمة فى حسن القيادة والتدبير وحنكة الرأىونفاذ البصيرة وفطنةالتخطيط وفن الاستشارة • درب جنوده فأحسن تدريبهم ، ورباهم على أحسن ما يكون الجندى الفطن الكفء المتيقظ الفدائى الذى لا يأبه للعقبات ولا يكترث للصـعاب ولا تثنى عزمه المتـاعب ولا تقف فى طريقه الحواجز •

ولم يقم الاسـلام ـ كما سبق الاشـارة الى ذلك ـ على السيف ولمينتشر بالقتالولكنه قامعلى الدعوة والحكمةوالموعظة

الحسنة • وعلى الرغم من ذلك فقد كان النبى ــ كما يقول المرحوم العقاد ــ « نعم القائد البصير اذا وحيت الحرب ودعته اليهـا المصلحة اللازمة ، يعلم فنونها بالالهام مالم يعلمه غيره بالدرس والمران ، ويصيب فى اختيار وقته وتسيير جيوشه وترسيم خططه اصابة التوفيق واصـابة الحساب واصابة الاستشارة • وقد يكون الأخذ بالمشورة الصالحة آية من آيات حسن القيادة تقترن بآية الابتكار والانشاء ، لأن القيادة الحسنة هى القيادة التى تستفيد من خبرة الجيد كما تستفيد من شجاعة الشجاع ــ وهى التى تجند كل ما بين يديها من قوى الآراء والقلوب والأجسام، ولو تتبع حروبه ــ عليه السلام ــ ناقد عسكرى من أساطين فن الحرب فى العصر الحديث ليقترح وراءه خطط مقترحة أو ينبه الى خطأ لأعياه التعديل » •

ولقد خاض النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا من الغزوات • وفى مقدمتها غزوة بدر وفى أخراها غزوة تبوك • وفى كل هذه المواقع كانت حنكته وحسن قيادته مضرب الأمثـال ، وكانت فراسته وصدق رأيه فوق كل متناول لأنهما موصولان بسـبب الى السماء حيث وصفه الله بقوله « وما ينطق عن الهوى » •

ولقد تخرج فى مدرسـة النبى صلى الله عليه وسلم كثير من القادة والجنود البارعين وحسـبنا أن نذكر منهم على بن أبى طالب وسعد بن أبى وقاص وزيد بن حارثة وأسـامة بن زيد والمثنى بن حارثة والمقداد بن الأسود ، ولا نغفل عن خالد بن الوليد الذى أكسـبته مدرسـة النبى صـقلا وتوجيها ودربة وكفاءة ، وكثيرا غيرهم ممن كانوا فى براعتهم الحربية ومقدرتهم القتالية قدوة طيبة ومثلا تحتذى •

الأسس التى قامت عليها التربية العسكرية فى الاسلام :

ومن المفيد أن نذكر الأسس العامة التى تربى عليها هـؤلاء القادة والجنود ، وقد كانت من وحى الفطرة والالهام ، فاذا بها بعد ذلك تصبح قواعد عامة توضع لها الخطط والمناهج لأنها أثبتت جدواها وقيمتها بالنسبة للفنون القتالية والحربية •

ولنا أن نستشـــهد فى ذلك بما قاله اللواء محمد جمال الدين محفوظ مدير المدرسة الثانوية الجـوية فى محاضرة ألقاها برابطة التربية عن مفهوم التربية العسكرية فى الاسلام تقـــرر المدرسة الاسلامية للتربية العسكرية خير المناهج على الاطلاق ، ويكفى أن نقارن حال العرب قبل الاسلام بحالهم بعد الاسلام ثمنبحث عن سر ذلك التحول العظيم الذى حدث للعرب بعد الاسلام •

لقد كانت للعرب قبل الاسلام خبرة طويلة بالحروب وكانوا لا يهابون الموت ، ولكنهم لم يحققوا ما حققوه بعد الاســلام من فتوحات امتدت فى أقل من مائة عام من سيبيريا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا ومن الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا »•

ولعل السر فى ذلك هو ما أوضحه فى محاضرته بأن الاسلام بعقيدته وعملهقد أوجد فى قلبالعربالتربة الصالحة والاستعداد النفسى للغرس والتربية والقرآن الكريم يقول فى ذلك « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى » •

والمناهج التى أخذها الاسلام فى اعتباره لتخريج القائد الكفء والجندى المثالى يمكن ابرازها فى النقاط الآتية : ـــ

أولا : قوة العقيدة . فلا هدف يمكن تحقيقه دون أن يكون هناك عقيدة تمكن له وتحققه .

وقد وطد الاسلام عقيدته فى النفوس عن طريق ممارسة العبادات والشعائر ، وعن طريق القدوة الطيبة التى رآها المسلمون الأوائل فى نبيهم الذى كان أمامهم مثلا أعلى ، وقمة خلقية نادرة امتدحها القرآن الكريم بقوله « وانك لعلى خلق عظيم » ودعاهم الى التأسى بها فى قوله « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

وقوة العقيدة كما يعززها العمل وتغذيها القدوة يحرسها العلم وينميها ، فتصبح لها ثمارا ناضجة شهية تظهر فى الاطمئنان الروحى والنفسى وفى الاقبال على أداء العمل بهمة لا تعرف الملل ونشاط لا يعتريه الكسل .

والعقيدة القوية هى التى أوجبت على المسلمين الجهاد لأنهم رأوا أن عليهم واجبا يفترض أداؤه نحو مجتمعهم فى الهداية والارشاد وانقاذه من حمأة الرذيلة والشرك اللذين يتردى فيهما . لا يبالون فى سبيل أداء هذا الواجب بما يلاقونه من أذى لأن عقيدتهم تهيىء لهم أن الاستشهاد فى سبيل ذلك ثمنه الجنة والخلود « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» وأن أى تعب يلقونه فى الجهاد له أجر خالد فى الآخرة لا يقاس بأجور الدنيا الفانية ، ولكنه يقاس بمقياس الجنة ومافيها من نعيم سرمدى دائم « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ، ولا يطئون موطئا يغيظ

الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ، ان الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون » •

ويتصل بقوة العقيدة تربية الارادة التى يطلق عليها بأسلوب الحربية الحديث « قو الانضباط » • فتربية الارادة تحتم على المؤمن أن يتحدى الصعاب ويتخطى الشدائد ، ويربى نفسه على أسس سليمة من الحرية والكرامة حيث لا يستشعر أمامه قوة يخشى بأسها سوى قوى الله القهار •• واعلم أن أهل السماء والأرض لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء ما نفعوك بشىء الا وقد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء ما ضروك بشىء الا وقد كتبه الله عليك» وهذا واضح فى قولهتعالى: « فلا تخشوا الناس واخشون » وفى قوله عليه الصلاة والسلام: « لايمنعن أحدا هيبة الناس أن يقول الحق حيث علمه » •

ومتى شعر الانســان بذلك هانت الدنيا فى نظره وأقبل على الله بشوق شــديد ، واحترم مبادىء الدين وحاول أن ينشرها بكل ما أوتى من قوة ، وجعل من نفسه جنديا فى ميدان الحــرية والكرامة ، مســتمدا من روحه كل توجيه بعد أن طوع نفســه لأداء هذا الواجب فهو لا يحتاج بعد ذلك الى رقيب • «فالضمير الدينى للمسلم هو الذى يمنحه القدوة على حسن السلوك والجدية فى التفكير والعمــل على الابتكار وحســن التصرف فى مواجهة المواقف ، والضمير الدينى هو الذى يدفع المسلم الى أن يرعى عمله لأنه هو الرقيب المطلع ويصــوره لنا الرســول الكريم فى

العبادة بقوله : أنْ تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يـــراك » •

ثانيا : حسن القيادة من القائد وحسن الطاعة من الجنود والتعاون بينهما :

ربى الاســـلام أبناءه على حسن القيادة ، وجعل الفيصل فى ذلك اختيار القائد على أساس كفاءته ومقدرته لا سنه وأقدميته• وأمامنا فى ذلك أمثلة كثيرة نختار منها مثالين :

أحدهما : اختيار النبى صلى الله عليه وسلم أســـامة بن زيد قائدا عاما للجيش المعروف بجيش أســـامة ، الذى كونـــه النبى صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بقليل ، وتوفى قبل أن يتجه الى مهمته ، وقد أكمل انفاذه أبو بكر الصديق رضى الله عنه •

ولقد كان فى هذا الجيش من هو أسن من أسامة من أمثال عمر وعثمان وغيرهما من كبار الصحابة مهاجرين وأنصار•ولكن النبى صلى الله عليه وسلم أراد بذلك أن يضرب للجنـــود مثلا فى اختيار القائد وطاعته • وعلى الرغم من وجود بعض المسنين الذين طلبوا الى أبى بكر بعد وفاة الرسول تغيير القائد بمن هو أكبر سنا منه ان كان لابد من انفاذ هذا الجيش ، فان أبـــا بكر رفض رفضا باتا وقال : أيوليه رسول الله وأعزله أنا ؟

وسار يودع الجيش بنفسه راجلا ، وأسامة يمتطى فرسه ، فقال أسامة : يا خليفة رسول الله ، لتركبن أو لأنزلن • فقال أبو بكر : والله لا ركبت ولا نزلت وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة •

وبذلك أراد أبو بكر أن يضع أمام المسلمين مثلا فى احترام القائد رغم صغر سنه . ثم أعقب هذا المثل بمثل آخر هو استئذانه فى أن يترك له عمر بن الخطاب يعينه برأيه . فقال له: ان أردت أن تعيننى بعمر فافعل ، وكان بوسعه أن يخليه دون أن يستأذنه ، ولكنه أمام قيم يريد أن يفرضها بين الناس ومثل يريد أن يلفت الأنظار اليها .

أما المثال الثانى ، فلنا أن نأخذه من سيرة خالد بن الوليد ، فقد كان على حداثة عهده بالاسلام موضع تقدير النبى صلى الله عليه وسلم واعجابه ، ولم يكبره النبى صلى الله عليه وسلم كما يقول العقاد رحمه الله اكبار السياسى الذى يستجمع القوة حواليه ويستقطب مراكز القوى فى صفه ، وانما أكبره لأنه عرف أقصى مستطاعه قبل أن يظهر من مستطاعه الكثير ، وسماه سيف الله وبينه وبين الوقائع التى استحق أن يأخذ بها هذا اللقب الجليل بضع سنوات ، فقد لقبه وهو عائد من غزوة مؤته بعد أن نجح فى خطته التى أمن فيها انسحاب المسلمين بسلام قبل أن يستحكم الخطر المحدق بهم ويقضى عليهم . وهذا هو الفرق بين تقدير النبى لقادته وتقدير غيره من الزعماء والحكام لقوادهم . وهذا مثل من النبى الملهم الحكيم الذى ينظر ببصيرة نافذة من وراء الغيب الى رجاله وتلاميذه فيقدرهم حق قدرهم ويوجههم الى الوجهة التى قدروا لها .

ولقد اختار النبى صلى الله عليه وسلم خالدا بعد حسن بلائه فى مؤته قائدا فى موقعة بنى جذيمة ثم موقعة بنى المصطلق ثم قائدا للخيل فى حنين ، كما اختاره لهدم « العزى » ذلك الصنم

الذى كان يعبده الوليد بن المغيرة • فلما جاء أبو بكر الصديق كان لخالد القدح المعلى بين القواد وأثبتت جدارته وكفاءته التى استشفها رسول الله فيه ووجهه اليها •

والقيادة أمر حيوى فى نظام أى جماعة ، وبدونها يصبح أمر الناس فوضى مصداقا لقول الشاعر :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وفى توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم نجد شواهد متعددة لذلك ، فهو يقول : اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم • كما أوصى بأن يكون القائد كفئا محبوبا فقال : أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس ، على أن فى العشرة أفضل ممن استعمل فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين ، وقال : أيما رجل أم قوما وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه •

وحب القائد ضرورى فى نجاح الأعمال : لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما • وحسن اختيار القائد يستوجب حبه وطاعته ، والطاعة ضرورة من ضرورات نجاح الجنود فى مهامهم • وهى مفروضة حتى ولو كان القائد ليس موضع رضا الجميع — وان كان الرضا أمرا مطلوبا — وقد فرض الله طاعة ولى الأمر وقرن طاعته بطاعة الله ورسوله فقال : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى

الأمر منكم » والنبى صلى الله عليه وسلم يأمرنا بقوله: «اسمعوا وأطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » •

وفى حسن الطاعة نجاح للمهمة التى وكلت الى أولئك الجنود وقائدهم كما أسلفنا •

ويتصل بذلك التعاون الذى هو أساس العمل المتكامل « وتعاونوا على البر والتقوى و لاتعاونوا على الاثم والعدوان » وبدون التعاون تفشل المهام المطلوبة ، والفشل هو الذى يحذرنا الله سبحانه وتعالى فى قوله « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » •

واذا كان التعاون فى السلام ضرورة فهو فى القتال أشد ضرورة ، فبدونه لا يمكن أن يتم عمل ناجح • « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » •

والتعاون يقتضى الدقة والحذر والاحتراس واليقظة حتى يؤدى كل فرد أو جماعة ما وكل اليهم من أعمال فى الوقت المحدود دون تقدم أو تأخر وبذلك يتم العمل بنجاح •

ثالثا : التدريب والاستعداد :

مما يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثبا، ورووهم ما عذب من الشعر •

فى هذه العبارة منهج كامل للتربية العسكرية والتربية الوجدانية،

ذلك لأن الاسلام يعتنى تماما بالتدريب وموالاته وبالاستعداد للعدو فى كل وقت • والاستعداد يتطلب قـــدرة كاملة فى التهيؤ للعدو بكافة الاحتمالات الممكنة • قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبـــون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » •

وكلمة « قـــوة » هنا نكرة وهى تقتضى بأســـلوب البلاغـــة إعداد كافة ما يمكن من ألوان القوة المطلوبة ، المادية والمعنوية التقليدية والمتطورة •

والتدريب يتطلب المران المستمر وعدم الاهمال فى ممارســـة الفنون التى تعلمها الجندى • قال عليه الصلاة والسلام « من تعلم القرآن ونسيه فليس منا ــ ومن تعلم الرمى ونسيه فليس منـــا » •

والقوة تختلف من زمان الى زمان ، ولقد كانت فيما مضى تكمن فى الرمى بالقوس كما يقول اللواء جمال محفوظ • يظهر ذلك واضحا فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : ألا ان القوة الرمى • وقوله : ان الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنه صانعه : المحتسب فى عمله الخير ، والرامى به ، والمد به • فارموا واركبوا وان تراموا أحب الى من أن تركبوا • وقوله : « من ترك الرمى بعد ما علمه فانما هى نعمة جحدها •

والتدريب يتطلب اليقظة الكاملة ، وهو يتطور حسب الأزمنة والأمكنة وتطور الاسلحة ، حتى يتمكن الجندى من اســـتيعاب السلاح الذى يتدرب عليه وحتى يصبح استعماله فى يده تلقائيا

يتجاوب معه تجاوبا تاما ، وذلك لا يتأتى الا بالاستمرار فيه وعدم التفريط أو الاهمال بعد التعلم ، حتى يصبح على اهبة الاستعداد متى صدر النداء ، فالحذر يقتضى ذلك ، والله يأمرنا بالحذر حيث يقول : خذوا حذركم • ومن أجل الحذر أوجب الله صلاة الحرب حتى لا يفاجئنا بما ليس فى حسباننا •

وقد امتدح النبى المسلم المستعد فى قوله : خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليها •

ولا يغفل أحد أهمية التدريب والاستعداد وأثرهما فى تحقيق النصر واكتساب المعارك •

رابعا : التضحية والاستبسال وانكار الذات فى المعارك •

ظهرت التضحية واضحة فى معارك المسلمين الذين تسابقوا الى الاستشهاد فى سبيل الله • فهذا عقبة بن نافع يخاطب البحر الأبيض وقد وقف على شاطئه فوق جواده فى أثناء فتوحاته فى أفريقيا قائلا : والذى نفسى بيده لو أعلم خلف هذا البحر بلادا لخضته اليها مجاهدا فى سبيل الله •

لقد تعلم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان نموذجا فريدا فى التضحية ــ وكم لاقى من عنت وايذاء فى سبيل رسالته ، وكم تعرض للموت دفاعا عن قضيته • فى غزوة بدر الكبرى وقف يحرض أصحابه على القتال قائلا : والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة • فقال عمير بن الحمام أخو

بنى سلمة ــ وفى يده تمرات يأكلهن ــ : بخ بخ ، أفما بينى وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل ، وكان ينشد :

ركضـــا الـــى الله بغـــير زاد
الا التقى وعمـــل المعـــاد
والصبر فى الله على الجهـــاد
ان التقى مـــن اعظم السداد

وفى غزوة مؤتة رأى المسلمون مدد الروم حاضرا على مقربة منهم ، وعددهم مائتا ألف جندى ، وجيش المسلمين اذ ذاك ثلاثة آلاف ، فتوجس بعضـــهم من مغبة اللقاء ، ورغبوا فى استشارة النبى ماذا يفعلون ، وبين الجيشين هذا التفاوت العجيب ؟ فغلبت الحماسة عبدالله بن رواحـــة فقال : يا قـــوم ، والله ان الذى تكرهون للتى خرجتم تطلبون : الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين ، اما ظهور واما شـــهادة .

وفى هذه الموقعة دعى عبدالله بن رواحة الى القيـــادة فجاءه ابن عم له بعرق من لحم وقال له : شد بهذا صلبك فانك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت .فأخذه بيده ، فانتهش منه نهشة،ثم سمع صوت ارتطام السيوف ووقع الرماح فألقى العرق من يده وجرد سيفه وأقبل يقاتل عدوه فى حماس عجيب واســـتهانة بالموت غريبة وهو ينشد :

يا نفس الا تقتـــلى تموتى
هـــذا حمـــام الموت قد صليت
ومـــا تمنيت فقـــد أعطيت
ان تفعـــلى فعلهمـــا هديت

والضمير فى فعلهما يعود على زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب القائدين اللذين سبقاه فى هذه الموقعة ، وقد استشهدا قبله • رضى الله عنهم جميعا •

وفى موقعة اليمامة نرى صورا شامخة للفداء والتضـــحية ، فخالد بن الوليد لا يبالى بالموت ، وينادى بشـــعار المسلمين : يامحمداه ، ودعا الى المبارزة وهو يصـــول ذات اليمين وذات الشمال ، فلم يثبت له أحد فى مجال • وزيد بن الخطاب أخـــو عمر ينادى فى الناس قائلا : أيها الناس عضوا على أضراسكم ، واضربوا فى عدوكم وامضوا قدما ، ويقسم ألا يكلم أحدا حتى يهزم العدو أو يستشـــهد • وتجاوبت ـــ كما يقول العقـــاد فى عبقرية خالد ـــ الساحة بأصوات الأبطال يوصى بعضهم بعضا وينظر بعضهم الى بعض ، وهم ينقضون على أعدائهم ويتنادون بينهم : يا أصحاب سورة البقرة ، ويا أنصار الله ، كما ناداهم النبى صلى الله عليه وسلم فى حنين •

أما انكار الذات فحدث عنه ولا حرج ، فهو صورة من صور التضحية النبيلة ، ومثل من المثل التى اتخذها الصوفية فيما بعد نبراسا لحياتهم ، وعبروا عنه تعبيرات رائعة فقالوا : من دفن

نفسه فى أرض الخمول نبت ويقصدون بذلك أن العمل المثمر هو الذى لا يصحبه اعلان أو شهرة ، حيث يكون حينئذ خالصا لوجه الله لا رغبة فى تحصيل الثناء والاعجاب •

فى احدى الغزوات دعا القائد الاسلامى جنوده الى عملية فدائية ينقب فيها أحد الحصون الذى استعصى فتحه على المسلمين • ويصبح القائد عمرو بن العاص وقد وجد أن النقب قد تم دون أن يدرى من الذى قام بهذا العمل • فأمر مناديا ينادى فى الناس : من أحدث النقب فليجب الأمير •

وجاءه رجل فى خفاء يقول له : ان صاحب النقب يشترط عليكم ألا تسودوا اسمه فى صحيفة أو تكتبوا عنه للخليفة أو تشهروه بين الناس أو تكافئوه على عمل ، فان قبلتم ذلك أخبرتكم به •• فقال القائد عمرو : قبلنا الشرط •

فقال الرجل : أنا صاحب النقب ، ومضى دون أن يخبره باسمه •

والأمثلة على ذلك فى تاريخ المسلمين كثيرة تضيق عنها الصفحات •

وهذا الخلق هو الذى كان يطبع الاسلام أبناءه عليه ويربيهم على التخلق به ، لاسيما وأن حب الاستبسال طبيعة فيهم توارثوها عن آبائهم العرب المطبوعين على الشهامة والشجاعة وخوض الغمار بقلب ثابت وجنان حاضر وعقل نافذ •

خامسا : المحافظة على الأسرار والتحكم فى الانفعالات :

وقد ربى الاسلام أبناءه على الأمانة وكتمان الأسرار ، فالأمانة يدعو اليها القرآن الكريم فى قوله « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » وفى قوله « يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » وفى هذه الآية الأخيرة ارتباط بين خيانة الله ورسوله وخيانة الأمانة ، والحديث الشريف يعتبر خيانة الأمانة من علامات المنافق •

وهناك علاقة وطيدة بين حفظ السر والأمانة على اعتبار أن الأمانة نوعان : مادية ومعنوية ، ومن تمام الأمانة أن يخلص الانسان لدينه ووطنه وأن يحفظ أسرار بلاده ، فلا يفصح عن سر أو يشجع على شائعة ، وفيما ينسبه بعض الرواة الى الامام على كرم الله وجهه هذا الشعر :

اذا ما المرء لم يحفظ ثلاثا
فبعه ولو بكف من رماد
وفاء للصديق وبذل مال
وكتمان السرائر فى الفؤاد

ويتعلق بحفظ السر الكتمان ، وقد أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بضرورة كتمان الأعمال فهو أنجح لانجازها ، وبخاصة فيما يتعلق بأمن الدولة أو خطط القتال : استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان •

ومما يستشهد به اللواء جمال الدين محفوظ فى ذلك قول الامام على « ليس كل ما يعلم يقال ، ولا كل ما يقال حضر أهله ،

ولا كل ما حضر أهله حان وقته » وقوله أيضا : « سرك أسيرك فان تكلمت به صرت أسيره » •

أما التحكم فى الانفعالات فهو أمر حيوى فى الحروب خاصة، وهو من صفات الفدائيين الأبطال الذين لا يخرجهم فرح الانتصار عن طورهم فيصيبهم الغرور فيغفلون عن الخطر المحدق بهم ، ولا تصيبهم الهزيمة باليأس فتضعف قواهم ، وتتخلخل عزيمتهم وتهتز ثقتهم فى الله وفى أنفسهم فيصيب منهم عدوهم المقتل •

وقد امتدح حسان بن ثابت النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه فى مفاخرة جرت بينه وبين وفد تميم بقوله :

لا يفـرحون اذا نالوا عـدوهم
وان أصيبوا فلا خور ولا جزع

وقد أوضح العقاد فى عبقرياته أن آفة الغرور هى التى كان عليها المعول الأكبر فى هزيمة كل من الفرس والروم أمام العرب، وأثبت أن العـرب كانوا على علم كبير بالسـياسة والحـرب مستشهدا فى ذلك بمثل بسيط عن قتيبة بن مسلم حين رفض أن يسند الى وكيع بن مسعود أمر الحملة التى أراد أن يوجهها لتأديب بعض الخارجين عليه فى خراسان ، وقال فى سبب ذلك : ان وكيعا رجل به كبر يحتقر أعداءه ، ومن كان هـكذا قلت مبالاته بعدوه فلم يحترس منه فيجد عدوه منه غرة •

ولعل فى استعداد النبى صلى الله عليه وسلم عقب موقعة أحد لملاقاة المشركين رغم ما لاقاه المسلمون فى هذه الموقعة

من جراح دليلا ملموسا على أن النبى كان يربى تلاميذه وقواده على عدم اليأس وسرعة التغلب على المصاعب والخـروج من المحن بقلب ثابت وروح وثابة .

على أن التحكم فى الانفعالات له أثر كبير فى نجاح العمـل العسكرى والحربى بصفة خاصة ، فالمضطرب لا يمكنه أن يؤدى عمله بنجاح ولا يجعله يقدم كل ما يمكنه من عطاء لدوره الذى يتطلب الجنان الثابت والذهن الحاضر والفكر المعين .

تلك هى بعض الأسس التى كان الاسلام يلتزمها فى تربيـة جنوده وقواده وغيرها كثير يضيق الوقت عن ذكره ، وقد اكتفينا بتقديم هذه المثل منها والا فالمدرسة المحمدية الاسلامية غنية بالمناهج والخبرات التى تصلح نماذج كاملة لخبراء الحرب فى العصر الحديث .

وبفضل هذه الأسس تمكن المسلمون من أن يصلوا الى ما وصلوا اليه ويحققوا ما حققوه من انتصارات خـالدة تركت صفحات مشرقة فى سجل التاريخ .

وعلى ضوء هذه الأسس سار جنودنا البواسل فى العـاشر من رمضان يعيدون صنع التاريخ العربى من جديد ويوطدون بجهودهم البناءة العظيمة ما صنعه أجدادهم العرب منذ مئات السـنين .

وكانت معركة العاشر من رمضان صورة جديدة أخرى من معركة بدر والقادسية وغيرهما من المعارك المضيئة فى تاريخ الحروب الاسلامية العظيمة .

الإشعاعات الإسلامية
في معركة العاشر من رمضان

ألمحنا فيما مضى الى بعض الأسس التى قامت عليها تربية القائد والجندى فى الاسلام • وأشرنا الى أثر ذلك فى كسب المعارك وانتصارات المسـلمين فى تاريخهم الحربى الطويل • وكان نجاح العرب فى معركتهم الأخيرة التى أدبوا بها عدوهم الباغى على رمال سيناء وهضاب الجولان نتيجة ملموسة لهذه الأسس التى طبقوها فى هذه المعركة •

لقد نجحت معركتنا فى العاشر من رمضان نجاحا منقطع النظير ، وتركت أثرها واضحا مشهودا فى جميع أنحاء العالم ، وخلقت صدى واسعا ما زال يدوى فى آذان الدنيا ويشهدها على أن فى مصر رجالا بواسل وفى سوريا جنودا أشداء وفى العروبة يقظة واستعدادا وتحفزا وتجاوبا عميقا سرعان ما يظهر أثره اذا دعى الداعى أو دوى النفير •

ان ما حدث فى رمضان لم يكن شيئا عاديا ولكنه كان أمرا عظيم الأهمية قلب موازين القوى ، وجعل أساطين السياسة والحروب يفكرون فى وضع استراتيجية أخرى على ضـوء ما تكشف لهم من نتائج فى هذه المعركة •

ولم يكن النجاح فى هذه المعركة وليد الصدفة ، ولكنه كان نتيجة عمل متواصل وبناء متكامل وخطة مدروسة وكفاح دائب واستثمار لجهود متكافئة ظل أصحابها يصلون الليل بالنهار فى سبيل تحقيق هذه النتيجة المظفرة •

ومن وراء ذلك كله عناية الله التى كللت هذه الجهود بالنجاح وكتبت لها التوفيق وأمدتها بالرعاية والحفظ ، ذلك لأنها سارت على بصيرة من أمرها ، والتزمت فى كثير من أمورها بالمنهج الاسلامى السليم فى بناء خططها والوصــول الى غايتها • وصدق الله اذ يقول : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » •

ولقد كان جهاد المجاهدين فى هذه المعركة جهادا فى سبيل الله لأنه دفاع عن الحق والوطن ، وعمل على نصرة كلمة الله ورفعة الاسلام الذى أراد العدو الصهيونى أن يحط من قدره ويضعف من شأنه « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » •

وسنحاول بتوفيق الله عرض بعض هذه الخطوات التى ظهر الاشعاع الاسلامى واضحا فيها حتى كتب الله لأصــحابها النجاح والظفر والتأييد :

١ ــ التخطيط السليم المتكامل :

أساس كل عمل سليم الخطة السليمة التى تضمن له النجاح وتحقيق الأهداف ، وقد تمت هذه المعركة وفق خطة ســليمة متــكافئة وضعت ونفذت فى منتهى الدقة والكفاءة ، وأشرف عليها جهاز كامل من المسئولين ، الذين أثبتوا جدارة كاملة فى تحمل التبعات ، ومقدرة كاملة فى دقة التنفيذ •

وقد ظهر التخطيط السليم فى اتجاهين متوازيين يسلمان فى النهاية الى هدف واحد هو تحقيق النصر •

فالاتجـاه الأول يظهر فى التـدريب المسـتمر الدائب ، والاستعداد لساعة الصفر التى حدد لها وقت معلوم •

والاتجاه الثانى يظهر فى السرية التامة حتى لا يفطن العدو لـما يدبر له فى الخفاء •

وقد نجحت الخطتان نجاحا تاما ، ومما يمكن الاستشهاد به فى ذلك قول القائد العام للقوات المسلحة « فى الوقت الذى كنا نعد فيه للمعركة كانت الخطة العامة لـما سوف نقوم به تختمر وتتبلور وتظهر ملامحهـا شيئا فشيئا بالدراسـة المسـتمرة والتطوير الدءوب » ثم يقول : « فى كل حرب هناك خطـة العمليات وهناك خطة الخداع ، وأعتقد أننا نجحنا ، فلقـد وضعنا خطة الخداع على المستوى الاستراتيجى والتعبوى ، ووضعت لها توقيتات وجداول سارت جنبا الى جنب مع خطة العمليات وتوقيتاتها وجداولها » •

وكلتا الخطتين تلتقيان مع الأسس الاسـلامية ومناهجها العسكرية ، فمن المعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم كان عبقريا فى قيادته ، وكان لا يقدم على معركة قبل أن يستكمل لها خطتها ويتدبر كافة احتمالاتها ، ويتشاور مع أصحابه فى مواجهتها • وقد مر بنا كيف أنه كان ينزل على رأى أصحابه واستشاراتهم متى كان فيها الصالح العـام ، وقد نزل على رأى الخباب ابن المنذر وسعد بن معاذ فى أمر نزول الجيش

وبناء العريش فى غزوة بدر • وذلك فيه تخطيط لمواجهة العدو وادارة المعركة فبناء العريش أشبه ما يكون بغرفة العمليات فى المفهوم الحديث •

وفى غزوة « أحد » خطط للمعركة وأعد لها الجنود وأمر الرماة ألا يبرحوا أماكنهم حتى ولو أبصروا العدو يولى الأدبار، ولولا مخـالفة هؤلاء لهذا الأمر لانتهت المعركة الى غـير ما انتهت اليه •

وفى موقعة الأحزاب أعد خطة على أساس حفر الخندق الذى أشار به سلمان الفارسى ، وموافقته على ذلك يقع فى دائرة اقرار الخطة السليمة لمواجهة المعركة التى انتهت بهزيمة العدو ورجوعه دون أن يحقق طائلا ، بل عاد خائفا مذعورا مضطربا لأنه أدرك قوة المسلمين المعنوية تؤيدها قوة الله الخفية التى ظهرت فى ثورة الطبيعة العاتية التى زلزلت أركانهم وقوضت خيامهم وزعزعت قلوبهم وأوقعت الارتباك فى صفوفهم فجعل بعضهم يضرب رقاب بعض •

وفى فتح مكة وضع خطته الكاملة ، وعين القواد وقسـم الجيوش ومايز بينها وأعد الفرسان والرجالة والرماة وغير ذلك مما تستلزمه ادارة المعركة من اعداد •

ويدخل فى حساب الخطة الموضوعة ما تسـتتبعه من رفع للروح المعنـوية وتجهيز للسلاح والذخـيرة والتموين وتأمين للطرق والمواصلات وحماية للمؤخرة واستطلاع للجيش ، الى غير ذلك مما يحسب له القواد حسابه • ومن كلامه فى ذلك قوله

فى غزوة « أحد » للرماة : « احموا ظهورنا فانا نخاف أن يجيئوا من ورائنا والزموا مكانكم لا تبرحوا منه وان رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وان رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا ، وانما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل ، فان الخيل لا تقدم على النبل » خطــة حكيمة كاملة رشيدة ، دبرها فأحكم التدبير ، وفات على منفذيها أن ينفذوها الى نهايتها فجنوا عاقبة ذلك بتحول دفة النصر فى النهاية من يد الى يد ولكن الى حين ، ليأخذ المسلمون العبرة ويتدبروا أن مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وبال •

وهكذا فى معركتنا الحالية أحكم القادة خطتهم ورســموها باتقان وساروا على ما خططوه حتى وصلوا الى هدفهم بنجاح •

فلقد واصل الجنود تدريبهم ليل نهار فى يقظة تامة وحذر شديد وصبر كامل وهمة لا تعرف الكلال ، ومارسوا كل أنواع الأسلحة حتى أتقنوا استعمالها وتفهموها جيدا وأصبحت تلقائية الاستجابة معهم ، كما قاموا بمئات المناورات بالذخيرة الحية وأجروا مئــات التجارب لعمليات العبور اســتعدادا لليوم الموعود •

لقد أمر الله عباده المؤمنين باعداد القوة للعدو ما استطاعوا وهكذا كان جنودنا فى معركة العاشر من رمضان على مستوى الاستجابة لهذا الأمر فأعدوا أنفسهم ماديا ومعنويا ليوم النصر المرتقب ، ووعوا دروس تاريخهم المجيد ووضعوا أمامهم المثل العليا من قادة التاريخ الاسلامى من أمثــال خالد بن الوليد

وسعد بن أبى وقاص وعمرو بن العاص وأسامة بن زيد وطارق ابن زياد وغيرهم ممن أفرد لهم التاريخ صفحات بيضاء فى سجلات البطولة والتضحية والفداء ، كما ساروا على نهجهم فى اليقظة والحرص والدقة وحسن التخطيط والتنظيم • حتى نجحت عملية العبور فى مصر والاقتحام فى الجولان بكفاءة تامة • يقول قائد الجيش المصرى عن نجاح الجنود المصريين فى عبور قناة السويس : « عندما نطرح وثائقنا كلها للدراسة التاريخية فان هذا العمل سوف يأخذ حقه من التقدير ، وسوف يدخل التاريخ العلمى للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث الأمين • عندما جاءت ساعة الصفر بدأ كل شىء يتحرك وفقا للخطة ، فان الموضوع لم يكن مسألة فرص وانما كان مسألة حسابات ومهما وجدت من فرص تبدو متاحة أمامنا فقد كان علينا ألا نغامر لأن الحرب أكثر بكثير من المغامرة » •

فمن شرائط التخطيط أن يكون مبنيا على أسس علمية دقيقة محسوبة بأدق ما وصل اليه العلم الحديث من وسائل واليكترونات • وقد أعد الجنود خطتهم على هذا الأساس العلمى ولم يكونوا فى ذلك متخطين ما كان يدعو اليه الاسلام من التزود بالعلم واتخاذ الأهبة منه ، ولقد كانت أول آية نزلت فى القرآن الكريم تدعو الى العلم فى قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق — خلق الانسان من علق — اقرأ وربك الأكرم — الذى علم بالقلم — علم الانسان ما لم يعلم » وفى الكتاب الحكيم آيات متعددة تتحدث عن العلم وتدعو اليه ولا ينكر منكر فضل العلم وأثره فى التقدم • وقد نفذ النبى صلى الله عليه وسلم دعوة القرآن الى العلم تنفيذا دقيقا فحث عليه وعلمه

أصحابه • واتخذ من مسجده الشريف أول دار علمية ، وجعل نداء مشركى قريش فى غزوة بدر أن يعلم المتعلم منهم عشرة من صبيان المسلمين مبادىء القراءة والكتابة •

ولقد سبق الاشارة الى أن معارك النبى صلى الله عليه وسلم كانت تتم وفق خطوات مبنية على أسس علمية دقيقة سواء منها ما كان يتعلق باختيار المكان الذى تدور فيه المعركة • كما حدث فى موقعة بدر حيث اختار المكان المناسب بمشورة أصحابه وفى موقعة أحد حيث اختار المكان المناسب للرماة وفى موقعة الخندق حيث اختار أنسب الأماكن لحفره — أو ما كان يتعلق بالسلاح الذى يستخدم فى المعركة وصلاحيته أو ما كان يتعلق بتكوين الفرق المقـاتلة وما يؤديه تنظيمها وترتيبها من دور دعائى أو قتالى كما حدث فى أثناء فتح مكة ، فقـد أمر أن يستعرض الجيش أمام أبى سفيان فجعلت كل قبيلة تمر ومعها رايتها حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار لا يرى منهم الا الحدق من كثرة ما تترسوا به من الحديد والسلاح • فقال أبو سفيان للعباس عم النبى : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة • وكان هذا المنظر هو الذى أملى على أبى سفيان أن يعود الى قريش منذرا لهم قائلا : لقد جاءكم محمد بما لا قبل لكم به ، فمن دخل دارى فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن •

ويمكن على سبيل المثال استقصاء الأساس العلمى فى غزوة بدر الذى اتبعه النبى صلى الله عليه وسلم مستخلصا من مقال للأستاذ على حسن عمر فى مقال له بمجلة الأزهر بعنوان : الجانب العسكرى فى موقعة بدر : فهو أولا : قاد المعركة قيادة

أقناعية لا قيادة ارغامية ، وطبق من مبادىء الحرب الحديثة مبدأ التعرض الذى يرتكز على الروح الهجومية ، وجميع غزوات الرسول كلها كانت تعرضية هجومية غير عدوانية فيما عدا غزوتى أحد والخندق • كما طبق مبدأ الاقتصاد فى المجهود والأمر العسكرى الذى ألقاه على جنوده هو نموذج رائع للاقتصاد فى المجهود الذى مكن لقوة صغيرة العدد قليلة السلاح من الانتصار على عدو يفوقها عددا وقوة ، كما طبق مبدأ كبت النيران التى تتمثل فى الرصد والتحكم فى الرمى حتى يفاجأ العدو فى المرمى المؤثر الذى لا يستطيع الخلاص منه أو التراجع عنه ، وطبق مبدأ حشد المعنويات لخدمة المعركة وهو ما يعنى بأسلوب العصر الحاضر التوجيه المعنوى الذى أحسن استخدامه فى معركة العاشر من رمضان •

هذه الأسس السليمة استفاد بها جنودنا تماما فى معركة العاشر من رمضان وأحسنوا استخدامها فحققوا الغاية المثلى والهدف المنشود •

أما بالنسبة للاتجاه الثانى الخاص بالتمويه والخداع ، فقد سارت المعركة فيه وفق خطة دقيقة تتحدى أذكى العقول وأكثرها دهاء وحرصا واستشفافا للمتوقع • لقد حرص القادة أولا أن يدخلوا فى روع العدو أنهم لا يفكرون اطلاقا فى مجرد الحرب ، وأوهموه بذلك ايهاما قويا حتى تيقن أن الجيش المصرى استمرأ حالته الراهنة ، وأنه قرر الرضوخ للأمر الواقع فى الوقت الذى تجرى فيه التدريبات القاسية المستمرة على عمليات العبور والاقتحام فى سرية تامة بعيدة عن كل استطلاع يمكن أن يرصده العدو •

وفى الوقت نفسه أوهموا العدو بأنهم لو فكروا فى العبور الى الشاطىء الشرقى للقناة فانهم سيعبرون فى مناطق معينة مما جعل العدو يركز على هذه المناطق • ولم تكن هذه المناطق هى التى تم منها العبور • ولقد تحدث رئيس أركان الحرب المصرى عن خداع القوات المصرية للعدو فى أثناء حماية المعابر التى أقامها قائلا : كنا نتبع معهم أساليب ايجابية وسلبية فى الوقت نفسه ، ومن أمثلة ذلك تحريك أماكن الكبارى باستمرار من مكان الى آخر حتى اذا ما تم رصدها من استطلاع العدو فوجئت طائراته التى جاءت لتضربها بعدم وجودها فى أماكنها •

وهذا التمويه هو الذى كان يستعمله النبى صلى الله عليه وسلم فى حروبه ، وهو القائل « الحرب خدعة » وكان حريصا على رصد حركات العدو فى الوقت الذى كان يخفى تحركات جيشه عن العدو • ومن أمثلة ذلك حرصه على اخفاء حركته فى « بدر » حيث أراد أن يحقق لغير أبى سفيان المباغتة ، وحرص على اخفاء وجهته فى فتح مكة ليضمن مفاجأة أهلها ، وحين أراد أحد المسلمين أن يرسل خطابا لأبى سفيان مع امرأة مسافرة الى مكة يخبره فيها بعزم الرسول على فتح مكة ، أرسل على ابن أبى طالب والزبير بن العوام فى اثر هذه المرأة لاسترداد هذا الخطاب ، وعنف مرسله بعد أن أوشك عمر بن الخطاب أن يقتله جزاء فعلته ، ولكن النبى عفا عنه ، ونزل فى شأنه قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة » ولم يلبث أن تحققت المفاجأة التى أرادها النبى لقريش فصبحهم فى عشرة آلاف مقاتل من صناديد المهاجرين والأنصار •

وقد اقتدى أصحابه به فى هذه الخطة ، فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى حروب المرتدين يرسل خالد بن الوليد لمحاربة طليحة الأسدى ، ويظهر للناس أنه متوجه الى خيبر ، ولم يكن فى نيته التوجه اليها ولكن أخفى وجهته الحقيقية لأسباب حربية تعرض لها نقاد الفنون الحربية الحديثة •

كما اتبع خالد بن الوليد هذه الخطة فى حروبه مع الفرس والروم ، ومن أمثلة ذلك اختراق الصحراء المخيفة حين أمره الخليفة أن يترك الفرس ويتوجه الى بلاد الروم لنجدة المسلمين هناك • ففاجأ الروم من حيث لا يتوقعونه وتمكن من اختراق الصحراء المخيفة بجيشه فى مدة وجيزة أذهل بها العدو وأربك خطوطهم وكان لهذه المفاجأة أثرها فى رسم النتيجة المتوقعة للمعركة •

٣ ــ الشعار الذى دارت تحت ظلاله المعركة :

كان شعار الجنود الذى تنادوا به فى معركتهم « الله أكبر » وهذا الشعار له معناه وقدسيته وأثره • فهو الذى رسم للجنود طريق النصر ، وهو الذى أذهل العدو وأوقعه فى التخبط والارتباك والضياع ، وأفقده رشده وصوابه • لقد غطى دوى هذا النداء السماوى على ضجيج المدافع وأزيز الطائرات ودوى الصواريخ والانفجارات •

ولقد أطلق على هذه المعركة اسم عملية « بدر » وهذا الاسم له معناه فهناك ارتباط وثيق بين هدف المسلمين فى بدر وهدف المصريين فى عبورهم القناة فى رمضان ، فكلا الهدفين يعملان

على تثبيت الحق ودحض الباطل ، ولم يكن غاية المسلمين فى السنة الثـانية من الهجرة الا اتاحة الفرصة لمن أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق أن ينالوا بعض هذا الحق ، وبهذا تتحرر ارادة المسلمين من الخوف الذى لاقوه فى مكة بقهر الذين آذوهم وألحقوا بهم الضر ، وفى ذلك تثبيت للعقيدة ورفع لكلمة الله التى أراد الله أن تكون هى العليـا وكلمة الذين كفروا هى السفلى ، ولم تكن غاية المصريين فى معركة العـاشر من رمضان الا استرداد حقهم الضائع وتطهير وطنهم المقـدس وطرد الغاصب الذى داس بقدمه أرض سيناء المقدسة التى أقسم الله بهـا فى القرآن الكريم وشرفهـا بالذكر فى كتابه الحكيم .

يقول اللواء أحمد بدوى قائد الجيش الثالث فى ذلك « ان قوات بدر التى تثق فى قادتها قد وقفت شامخة تقاتل من أجل الحياة الكريمة والسلام القائم على العدل ، ولقد كان القرار التاريخى الذى اتخذ فى العـاشر من رمضان الشرارة التى انطلقت من أجل التحرير والتى طال انتظارها ، وقد كان النداء المدوى لهذه القوات هو « الله أكبر » أكبر من الخوف وأكبر من العدو فسارت قواتنا بعزيمة صادقة لتستعيد عيون موسى وكبريت ، وغيرها لتحمى العرب من غـزو الطغاة ، وان نداء المعركة لم ينته وارادة القتـال لم تضعف والاستعداد لجولة أخرى سيمضى قدما » .

أجل ان هذا الشعار الذى تنادى به الجنود الذين يمتلئون قوة وحماسـا له أثره فى تثبيت قلوبهم وارتفاع معنوياتهم ،

وازدادت حماستهم حين رأوا علمهم المفدى يرتفع الى عنان السماء فانشقت حناجرهم بصرخات « الله أكبر » حتى طبق هذا النداء الآفاق ، وحتى عم جميع الأرجاء ، وكأن السماء تفتحت لهذا الهتاف المقدس فباركته فقذف الله الرعب فى قلوب الأعداء وثبت قلوب المجاهدين ، فانطلقوا كالأسود انقضت على فرائسها ، وكتب الله النصر لجنوده .

ولا ينكر أحد أثر الشعارات التى تطلق فى أثناء المعارك ، وقد كان القدوة فى ذلك النبى صلى الله عليه وسلم . ففى أثناء غزوة حنين وقد انكشف المسلمون أولا هتف النبى قائلا :

أنا النبى لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

ثم أمر عمه العباس رضى الله عنه وكان جهورى الصوت أن يصرخ فى الجيش قائلا : يا معشر الأنصار يا أهل السمرة يا أصحاب سورة البقرة ، فلما جلجل صوته بهذا النداء اذا بالمسلمين يتجاوبون يا لبيك يا لبيك ، وكان لهذا النداء أثره فى تحويل دفة المعركة وفى تسابق المسلمين الى الموت واستهانتهم بالحياة لم يستثن من ذلك النساء .

واستعمل المسلمون بعد ذلك هذا التقليد ، فكانوا أحيانا يستعملون شعار « يا محمداه » فى حروبهم وكان لهذا الاسم الكريم الذى يتنادون به أثر فى تمثل صورة النبى صلى الله عليه وسلم فى حروبه التى كان يرفع بها كلمة الله ويثبت بها دعائم الحق ويقضى بها على دعاة الباطل ويعطى بها كل ذى حق حقه ويرهب بها صولة الظلم ودعوة البغى ، وهم لهم فى رسول الله أسوة وأى أسوة .

وقد كان اختيار شعار « الله أكبر » بالذات اختيارا موفقا غاية التوفيق ومناسبا لهذا الجو الملتهب بالحماس والنـــار ، ومناسبا لما تغلغل فى النفوس من عقيدة قوية تتمثل فى عقيدة الايمان بالله والوطن وفى العقيدة القتالية التى تدافع عن هدف كريم وغرض نبيل •

لقد ألهب هذا النداء الميدان بحرارة أخرى غير حرارة المدافع والصواريخ ، وهى حرارة القوة المنبعثة من أعماق الروح الممتلئة بنور الايمان وتولدت من ذلك مشاركة وجدانية جعلت الجنود كلها تتجاوب فى صوت واحد بذلك الهتاف الربانى « الله أكبر » لا فرق فى ذلك بين مسلم ومسيحى ، ولا بين قائد وجندى ، فالكل أمام هدفهم السامى جنود يلبّون نداء الوطن ويحققون له أسمى ما يريده منهم من تطهير وتحرير •

ونداء « الله أكبر » له معنى كبير ولذلك اختاره الله ايذانا للبدء فى أعظم موكب يتصل فيه الانسان بالله ، ذلك هو موكب الصلاة ، وكلمة الله أكبر حين يرددها المؤذن للصلاة تخـــرج النـــاس من تيههم المـــادى وتوقظهم من غفلتهم الدنيـــوية وتحملهم الى آفاق روحية صافية وتحلق بهم فى أجواء سماوية عاليـــة •

فليس غريبا حين ردد الجنود فى انطـــلاقهم عبر القنـــاة واقتحامهم حصون بارليف هذا النداء أن يولى أمامهم جنـــود الأعداء هاربين ، فقد أصبحت لجنودنا قوة الهية خارقة تهزم الباطل وتدحر عدوانه وتقهر صولته وسلطانه ، حين أصـــبحوا يقاتلون تحت مظلة الهية عظيمـــة هى مظلة الايمـــان العميق

والعقيدة الراسـخة التى تحمل شعار « الله أكبر » وليس غريبا أن يمدهم الله بجند من عنده كما أن المقاتلين فى حروب الاسلام الأولى ، ولقد ظهرت امدادات الله فى مظاهر متعددة ، فما يعلم جنود ربك الا هو ٠

ظهرت هذه الامدادات فى الرعب الذى قذفه الله فى قلوب العدو فيفزعون على كثرتهم من جندى مصرى يحمل فى يده احدى المعلبات ، ويهربون بدباباتهم أمام جندى راجل على قدميه يحمل فى يده بندقية تكفى احدى طلقات مدافعهم للاطاحة به ، ويخطئون مواقع أقدامهم فيقعون فى حقول الألغام التى زرعوها بأنفسهم فتصطادهم جماعات بدلا من أن تصيب أحدا من جنودنا بسوء ، وتحول هذه الامدادات بينهم وبين وصول الاشارات اليهم فى الوقت المناسب فيرتبكون ويتخبطون ٠٠ الى غير ذلك من المفاجآت التى لاحقتهم ، وكلها تدل دلالة قاطعة على أن الله كتب لجنودنا الغلبة وأمدهم بعونه وتوفيقه حين اتخذوا من اسمه الأكبر شعارا يتنادون به فى ساعة الشدة ، ويهتفون به فى الساعات الحاسمة فيتحقق لهم بذلك قوله تعالى « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله لقوى عزيز » وقـوله تعالى « وان جندنا لهم الغالبون » ٠

٣ ـ الرغبة فى الاستشهاد :

من الاشعاعات الاسلامية فى هذه المعركة تسابق الجنود نحو الموت ، ورغبتهم فى الاستشهاد وحرصهم عليه وعدم خوفهم من المخاطر التى تعترضهم فى طريقهم ٠ وقد ظهر ذلك واضحا فى صور البطولة المتعددة التى ظهرت فى أثناء المعركة ، وليس

لذلك منبع الا قوة العقيدة ورسوخ الايمان الذى لا يتزحزح فى النفوس .

لقد كان الجنود يحاربون بدافع من ايمانهم بوطنهم المقدس وحقهم فى أن يكون حرا أبيا خالصا لا يدنسه عدو ولا يعكر صفوه محتل .

كان الجنود يتمثلون فى نفوسهم صورة سيناء المقدسة التى ذكرها الله فى كتابه الكريم فى مواطن عديدة .. « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين » « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين » ، « فلما قضى موسى الأجـل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا » .. الى غير ذلك من الآيات الكريمة .

يتمثلون هذه الصورة الحبيبة لهذا المكان المقـدس الذى دنسه العدو الصهيونى بأقدامه الخبيثة ، وأن يحقق باحتلاله خرافة راودت خياله المنحرف حينا من الدهر . فأقبلوا على الموت بصدر رحب واستلذوا الشهادة فى سبيل تطهير هـذا الوطن من غاصبيه .

وقرأنا وسمعنا عن قصص تستحق أن تكتب بماء الذهب ، ويسجلها التاريخ بأحرف من نور لرجال ضـحوا بأنفسـهم ليكتبوا تاريخ العرب من جديد وليعيدوا الى الأذهان ذكرى أجدادنا المسلمين الذين لم يبالوا الموت فى سبيل الله وفى سبيل تثبيت أنبل المبادىء وتحقيق أروع الأهداف .

فالجندى المصرى الذى يغلق بجسده فتحة النيران ليفتح لزملائه الطريق الى الاستيلاء على أحد مواقع العدو .

والجندى الذى لف علم مصر على جسده لأنه صمم على أن يرفعه بنفسه فوق رمال سيناء وينطلق رصاص العـدو فى جسمه مخترقا العلم فيخضبه بالدماء .

والجندى الذى يلف نفسه بالحزام الناسف ويلقى بجسمه أمام دبابات العدو فيعيق تقدمها .

والجندى الذى يكمن فى انتظار احدى الدبابات ليقفز فى داخلها ويحطمها باحدى قنابله ..

هناك بطولات كثيرة وهناك تضحيات لم نعرف عنها الى الآن شيئا فليس وراء هذا النصر الكبير الذى حققه الجيش فى رمضان الا عيون ظلت ساهرة وقلوب استمرت خافقة ، وكفاح مستميت وتضحيات كبيرة وتدريبات شـاقة ورجـال لا يعرفهم أحد ، هؤلاء هم الجنود المجهولون الذين لا يرغبون فى الشهرة ولا يطمعون فى الثناء أو الاعجاب ، يعملون فى صمت دون أن يعرفهم أحد أو يشعر بهم فرد من الناس ، لأن هـدفهم أكبر من الثناء والاعجاب ، وعملهم أعظم من التعبير عنـه . غايتهم نبيلة وشعورهم عظيم .

وهذا هو المعنى الحقيقى للحياة ، وهو الذى أوصى به الدين الحنيف وحض عليه الاسلام . هذا المعنى هو أن يفنى الفرد نفسه فى المجموع ، وكم أوصى النبى بالايثار وحـذر من الأثرة .

ومن الايثار الجميل أن يضحى الانسان بنفسه فى سبيل غاية كريمة يسعد بها المجتمع ويتقدم بها الوطن ويعلو بها شأن المجموع وترتفع بها كرامة المسلمين وقد امتدح القرآن الكريم الأنصار الذين آثروا المهاجرين على أنفسهم فقال : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

وفى الاسلام صور لاعداد لها من الاستشهاد والبطولة تعرضنا لبعضها فيما سبق ، وهى أمام القراء يجدها ناصعة ناطقة بكل معانى النبل والشهامة فى سجلات التاريخ وصفحات الكتب .

٤ ـ وحدة العرب :

من الاشعاعات الاسلامية الكبرى التى ظهرت واضحة ناطقة فى هذه المعركة الوحدة العربية الحقيقية النابعة عن ايمان عميق وشعور كريم واخلاص عظيم .

ولقد صدق الله تعالى حين وجه أمره الكريم الى المسلمين فى قوله « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها** » ..

فالوحدة نعمة من غير شك تستحق الشكر والحمد ، وهى من أجل ذلك اشعاع اسلامى ظهر فى معركتنا الراهنة ، فقد صنعت المعركة بمدافعها الهادرة ونيرانها المشتعلة وبياناتها المتلاحقة ما لم تصنعه المساعى الدبلوماسية والتحركات السياسية •

ولقد أثبت العرب بتجمعهم الفورى أنهم على مستوى مسئولياتهم التاريخية الفاصلة ، فما أن دوى نفير المعركة حتى تجاوبت الأصداء فى جميع العواصم العربية فى نشيد واحد وهتاف واحد ، لا منبع له الا هذه القومية التى تجمع حولها القلوب وتؤلف نحوها الأرواح وتنتظم فى فلكها الأنفاس •

كان العرب وما زالوا أمة واحدة تجمع أواصرها المحن وتؤلف شتاتها الآمال ، لغة القرآن لغتهم ، وتاريخ العروبة ووحدتها الجغرافية تكون منهم أمة وسطا ممتازة فى موقعها ، متخيرة فى عناصرها ، عظيمة فى جوهرها غنية فى خبراتها ، يقول **القرآن الكريم فى ذلك « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »** •

وتسابقت العواصم العربية فى تقديم كل ما تملك من عطاء لهذه المعركة المقدسة التى تعتبر معركة كل الشعوب العربية متجمعة من أقصاها الى أقصاها • وقرر وزراء البترول العربى ايقاف البترول أو تخفيضه تضامنا مع دول المواجهة •

لطالما تطلع العرب الى وحدتهم التى تعصمهم من كل سوء ،

وأنفقوا فى سبيل ذلك الكثير من الجهود والوقت والمسعى ، وكانوا كثيرا ما يرضون بالحد الأدنى فى تحقيق هذا الحلم الذى عبر عنه الشاعر على الجارم فى قوله حين أنشئت الجامعة العربية .

لقد كان حلما أن نرى الشرق وحدة
ولكن من الأحلام ما يتوقع

وفى فبراير ١٩٥٨ قامت الوحدة بين مصر وسوريا فاهتزت لها أعطاف الشعوب العربية فرحا وسرورا ، وتيامن العرب بهذا الحادث الفريد ، ولكن سرعان ما أجهضت هذا الأمل مؤامرات الاستعمار وحالت بينه وبين البقاء والاستمرار .

ومنذ يوم الانفصال والعرب يتوقون الى العودة الى رحاب الوحدة الشاملة التى تجمع الشعوب العربية فى اطار واحد كما تجمع باقة الزهر مختلف الزهور فتؤلف منها صورة تجمع العين وتنشر الشذى فى الآفاق وتريح القلوب ، حتى جاء يوم العاشر من رمضان فحقق للعرب ما يتوقون اليه ، وأصبحت الوحدة حقيقة واقعة بغض النظر عن المراسيم والرسميات .

يكفى هذا التعاطف القوى والتآلف الغريب والتجاوب العظيم والاحساس بالواجب والمبادرة الى التضحية بكل نفيس وتقديم كافة الامكانات والمساعدات والمعونات . كل دولة عربية أعلنت منذ اللحظة الأولى للمعركة أن المعركة معركتها ،

ووضعت كافة مواردها تحت تصرف دول المواجهة ، وعطلت الدول العربية مشروعات التنمية الخاصة بها لأن المعركة لها الأولوية على هذه المشروعات . والمثل العملى الملموس نجده فى اتفاقهم على ايقاف ضخ البترول بالنسبة لمن يظاهر العدو ، وماذا تصنع الوحدة الحقيقية المعلنة بمراسيم أكثر من هذا ؟

ولقد كان لهذه الوحدة أثر كبير فى تحقيق النتيجة التى وصلت اليها المعركة وهى النصر ، فقد ارتفعت روح الجيوش المعنوية وانتهبت مشاعرهم وأحاسيسهم حين رأوا فى ميدان المعركة كل الأيدى والقلوب العربية بأزيائها المختلفة توجه طلقاتها نحو هدف واحد هو عدو العرب المشترك الذى سولت له نفسه أن يعمل على تصفية العرب دولة دولة ، ولم تترك أطماعه قطرا من اقطار الأمة العربية دون أن تحلم باقتطاع جزء منه على النحو الذى حددته فى خريطتها التوسعية التى رسمتها على جدران الكنيست الاسرائيلى .

لا ينسى العرب مقالة بن جوريون عقب النصر الرخيص الذى حققته اسرائيل فى ٥ يونيو ١٩٦٧ : اننا لم ننتصر بعد طالما لم نقض على حضارة العرب والاسلام .

ولقد سبقت هذه الكلمة كلمة أخرى تكشف عن مدى ما يكنه هؤلاء الطامعون من نيات خبيثة قالها فى مستهل عام ١٩٥٦ فى خطاب ألقاه فى الجامعة العبرية « ليست هذه نهاية كفاحنا ، بل اننا اليوم قد بدأنا . وعلينا أن نمضى لتحقيق قيام الدولة التى تتميز بأنها الوحيدة التى لا تعتبر غاية فى ذاتها بل هى وسيلة فقط لتحقيق رسالة الصهيونية وجمع اليهود المشتتين

فى جميع أنحاء العالم ، فهى بذلك ليست دولة الذين يستوطنونها فقط بل هى دولة الشعب اليهودى كله • ان لنا خريطة أخرى عليكم أنتم مسئولية تصميمها • خريطة الوطن الاسرائيلى الممتد من النيل الى الفرات فليفهم الجميع أن اسرائيل قد قامت بالحرب وأنها لن تقنع بحدودها وأن الامبراطورية الاسرائيلية سوف تمتد من النيل الى الفرات » •

وهل نسى العرب مقالة موشى ديان غداة النكسة : ان الطريق الآن مفتوح الى المدينة •

وهناك تصريح لن ينساه العرب لأحد اليهود واسمه « موت ترثك » ونشرته جريدة « جيروزاليم بوست » قال فيه : ان اسرائيل لن يكتب لها البقاء ما لم تشن حربا شاملة ضد الدول العربية وتمد حدودها داخل هذه الدول حتى تضمن سلامتها •

ولقد بلغت البجاحة بهم أقصى حد حين سولت لهم أنفسهم أن العرب هم الذين يحتلون الآن فلسطين ، وواجب اسرائيل المقدس هو اجلاء هؤلاء المحتلين العرب عنها ليخلص الوطن لأصحابه • وفلسطين هى اسرائيل • جاء ذلك فى تصريح لكاتب يهودى قال فيه : « ان على اليهود أن يطهروا وطنهم فلسطين من المغتصبين وأن على السكان المسلمين فيها أن يرحلوا الى الأراضى الحجازية والصحراء » •

لن ينسى العرب ذلك • وقد أوضح هذا التذكر ضرورة تعميق

المفهوم الكبير للوحدة العربية التى تقضى على هـــذه الأوهام الصهيونية التى صورت لرعاياها أن اسرائيل الكبرى يحتلهـــا العرب الآن ومن الضرورى اجلاء العرب عنها •

الوحدة العربية كهذف اسلامى ودعوة اسلامية ليست عبثـــا ولكن الحكمة من ورائها عميقة ، والاسلام دين اجتماعى يعمل دائما على جمع الشتات لتقوية دعائم المجتمع ، فيأخذ القوى بيد الضعيف ويتعاون الناس فيما بينهم ، وترتفع بذلك كلمـــة الله الى عنان السماء ، وهذا ما سجله القرآن الكريم ، ففى أعقاب آية الأمر بالاعتصام بحبل الله وتذكر نعمـــة الوحـــدة •• واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمـــة الله عليـــكم ••

جاءت الآية الأخرى التى تمجد شأن العرب كأمة واحـــدة **متآلفة متعاونة متناصرة « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ثم جاءت المقارنة بين هذه الأمة وأهل الكتاب من اليهود « ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » ثم جاءت** الآية التى تفضح أساليبهم لأنهم يشيعون الفرقة بين الناس ولا يتناهون عن منكر فعلوه ولا يؤمنون بالله ، وتوضـــح أن قتالهم للمسلمين لن يضر المسلمين وسيلقون وبال فعلهم وقد **ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة « لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون • ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون**

بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق • ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » لقد صنعت وحدة العرب الكثير وما أصدق كلمة الرئيس القائد فى تكريم الأبطال : « ولقد عرفنا جيدا ماذا يستطيع أن يفعل العرب باتحاد كلمتهم ، وكيف أن الخلاف والصراع بين العرب كان هو دائما طريقهم الى الهزيمة والبوار » •

٥ ــ الاعلام العربى :

من الاشعاعات الاسلامية العظيمة التى صاحبت المعركة ما أداه الاعلام العربى الذى ارتفع الى المستوى الروحى المطلوب •

ولقد ظهر ذلك واضحا فى الدور الذى قامت به الأجهزة المختلفة من اذاعة مسموعة ومرئية وصحافة ونشرات وغير ذلك من وسائل الاعلام •

وظهر ذلك أيضا فى صورة البيانات العسكرية التى كانت تتوج دائما ببسم الله الرحمن الرحيم • ثم تلتزم الصدق والصراحة • وفى ذلك دلالة واضحة على أن الروح الاسلامى تغلغل فى صميم هذه المعركة على جميع المستويات •

وليس شئ يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم الا كان مباركا مؤذنا بالانتصار ، وهناك أثر شريف يقول : كل شيء لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع أو أبتر ، ومعنى ذلك أنه ناقص لا يكتب له التوفيق ويحرم من نعمة الكمال •

فقد كان المسئولون عن هذه البيانات ــ اذن ــ موفقين فى هذه البداية الطيبة التى انتهت نهاية مشرفة والحمد لله •

فاذا ما انتقلنا الى دور الاذاعة المسموعة والمرئية بعد ذلك وجدنا الأناشيد الحماسية التى تتحلى بروح الدين ، وتعلى من قيمته فى النفوس وتوضح أثره فى الانتصار ، ولسنا فى حاجة الى الاستشهاد على ذلك فهو ملء أسماعنا وأبصارنا ليل نهار •

وعلى الرغم من كثرة ترديدها فان أحدا لم يملها ، ولكنها ولله الحمد مشوقة الى النفوس محببة الى القلوب •

ولا ينكر أحد دور الأناشيد فى الهاب الأحاسيس والمشاعر : فاذا كانت هذه الأناشيد تحمل معنى قيما وأداء جيدا ساعدت على السمو بهذه المشاعر والارتفاع بالأحاسيس ونقلتهما الى جو روحى كريم •

والى جانب ما كانت تردده الاذاعة من أناشيد روحية ، كانت هناك التمثيليات التى تمجد البطولات الوطنية والدينية وتحيى المثل القيمة وتستحضر صور الأبطال والشهداء وأصحاب المبادىء والقيم • وقد لمعت فى الاذاعة بنوعيها أسماء الشهداء الخالدين وعاشت فى أذهان الناس وقلوبهم ذكريات عظيمة عن الخلفاء الراشدين والقواد المسلمين والصحابة الأجلاء ، والفاتحين العظام ، والمناضلين الأبطال ، على مر العصور وتعاقب الأجيال •

الى جانب ذلك جدت برامج وتطورت • كلمات من القلب • رسائل من المستمعين ، همسات فى الآذان ، توجيهات سديدة ، ارشادات حكيمة ، قصص وتعليقات وتفسيرات وغير ذلك من مختلف البرامج والألوان الاذاعية والمسلسلات ، وتركت الاذاعة وراءها ظهريا كل ما لا يخدم المعركة وأهدافها • فأصبح الجو خالصا لله بعد أن تخلصت الآذان والعيون من كل ما يحول بينها وبين الاتجاه السديد الى الغاية السليمة الكريمة •

ولا يغفل أحد دور الاعلام وأثره فى ادارة المعارك وتوجيه الرأى العام ونجاحه يتطلب توجيهها على أسس علمية وسيكلوجية سليمة ، وهذا يعنى أن تكون هناك خطة مسبقة تدير وسائل الاعلام فى كفاءة ونظام وتوازن ، بعيدة عن الانفعال الذى يأتى غالبا بنتيجة عكسية • وربما استفاد العدو منه أكثر مما نستفيد نحن ، فقد يستغل ذلك الانفعال التشنجى دعائيا لمصلحته فيظهر أمام العالم أنه هو المعتدى عليه لا المعتدى ، وأنه هو المظلوم لا الظالم •

ان اللهجة الهادئة المتزنة قد تصيب العدو فى مقتله أكثر مما تصيبه اللهجة العنيفة الثائرة ، فلا شىء يؤثر فى العدو الشرس الجبان أكثر من ظهور خصمه أمامه ثابت الأعصاب متزن التفكير ، ولذلك فقد كان الاعلام العربى فى منتهى اليقظة وحسن الأداء ، لم تخرجه أخبار الانتصارات العظيمة عن حده المتعقل الرزين ولم تجعله يتجاوز طبيعته الوقورة الهادئة ، ولكنه صور للشعب هذه الانتصارات فى صورة تظهر البطولة فى أجلى مظاهرها وتعلن الحقيقة فحسب • وهذا أعظم اعلان •

ولقد كانت موسيقى الاعلام صادقة فى تناسبها مع الصورة الحقيقية التى رسمتها المعركة بجلالها وقوتها وعظمتها • فكما أن الجيوش تعمل فى هدوء أعصـــاب وتحكم انفعال ، كانت الموسيقى كذلك هادئة ولكنها قاتلة لأعصاب العدو •

فقد أخذ هذا العدو يتساءل : هل الشعب العربى حقا يقاتل ؟ واذا كان يقاتل فما بال الدعوة العنيفة للقتال لا تظهر معالمهـا بارزة على ألسنة المذيعين وفى بيانات المعلقين وفى تحـــريض المحرضــين •

لقد درس مسئولو الاعلام خطتهم وقدموها بنجاح فائق والتزموا فيها الحكمة البالغة والمنطق المؤثر • وكانت البيانات العسكرية أيضا فى منتهى الصدق والصراحة مما أذهل العـــالم وأعطاه صورة صحيحة عن الشعب العربى الذى يدين بالاسلام، وقد أعطاه هذا الدين مفهوما صحيحا عن الصدق حيث يقــول له : اذا كان الكذب منجيا فان الصدق أنجى •

فالالتزام بالصدق مفهوم اسلامى حرص الدين على تعميقه فى النفوس لحكمة عظيمة • ذلك أن الصدق له تأثير خاص وسحر عظيم فى نفوس الناس ، والكذب قد يكون له بريق ، ولكنه بريق خاطف سرعان ما يزول وينتهى وينكشف ، ولا يمكن للكذب مهما ركب له من أسانيد ووضع حوله من مدعمـات أن يبقى ، وقديما قالوا : قد تخدع بعض الناس طول الوقت أو تخدع كل الناس بعض الوقت ، ولكنه لا يمكنك أن تخدع كل الناس طول الوقت •

لقد حاول العدو أن يضلل الرأى العام العالمى فى أثناء المعركة، ولكنه انكشف أمره أمام الصراحة العربية الخالصة • وفى المؤتمر الصحفى الذى عقده السيد رئيس الجمهورية فى مبنى الاتحاد الاشتراكى أجاب بمنتهى الصدق والصراحة على تساؤلات الصحفيين • حين قال أحد الصحفيين الألمان : ان الرئيس السادات قد أثبت للعالم أنه اذا قال فعل ، ولذلك فان العالم كله أخذ يتابع تصريحات الرئيس السادات باهتمام بالغ •

وكان هذا الصحفى قد نظمت له مع غيره من الصحفيين العالميين الى منطقة القتال على أثر أحد البيانات التى أذاعها العدو الصهيونى فى « راديو » اسرائيل عن سير العمليات الحربية وكان هذا البيان كعادتهم محشوا بالتضليل والأكاذيب• وذهب هذا الصحفى الألمانى وغيره الى احدى المناطق التى قال الناطق الاسرائيلى العسكرى : ان قوات اسرائيل قد احتلتها ، ليجدها تحت سيطرة القوات المصرية ، ولم يكن هناك أى أثر لقوات اسرائيل •

ولم يتمالك هذا الصحفى نفسه وبادر بالالتفات الى المرافق المصرى الذى كان مكلفا بمرافقة مجموعة الصحفيين الأجانب فى هذه الرحلة ثم قال له : تأكدت الآن أن جولدا مائير أكبر كذابة فى التاريخ •

ويقول مدير ادارة الصحفيين الأجانب فى مصر حول ما سمعه من هؤلاء الصحفيين : ان اجماعهم هو أن جيش مصر استطاع أن يعمل شيئا عظيما ، فأحاديثهم هذه المرة تختلف تماما عن

أحاديثهم من قبل ، فلأول مرة أسمعهم يتحدثون عن الثقة في البلاغات المصرية .

ان الاعلام العربى صاحب المعركة مصاحبة جليلة وأجاد الارتفاع بالمستوى الدعائى الى قمته المطلوبة ، واننا لنتطلع أن يظل الاعلام على صورته المرموقة مواصلا هذا الدور الاعلامى الخطير ، وبخاصة بعد أن انتشرت أجهزته وغطت جميع القرى والكفور ، ولم يعد من المستغرب أن يستمع الفلاح فى حقله وهو يدير محراثه الى جهاز الارسال الذى يقرب له كل بعيد وييسر له كل سهل ويوقفه على كل شأن ويجعله يحيط بكل خبر .

٦ ــ معاملة الأسرى :

الاسلام دين انسانى ، يضع فى اعتباره الأول الرباط **الانسانى الذى يجمع بين الناس جميعا « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم »** .

ومما لا جدال فيه كما يقول الأستاذ فتحى رضوان فى كتابه الاسلام ومشكلات الفكر : « أن الاسلام دين الحرية ، جاء ليعلنها ويوسع مداها وليجعلها غاية ووسيلة ونهاية وبداية وجوهرا ومظهرا وسلاحا يدفع به وممن يدفع عنه » .

وهذه الحرية التى يعمل لها الاسلام ويوسع مداها تحتم على الدائنين به الرفق فى الأمر كله .

ومن الرفق احسان معاملة الأسرى ، وفى تاريخ الاسلام على كثرة الفتوحات والغزوات التى حدثت لم يثبت التاريخ أن قائدا عاما أو مسئولا اسلاميا أساء معاملة الأسرى عن قصد وتدبير •

ولقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم أسرى فى بدر افتدى بعضهم أنفسهم بالمال وافتدى بعضهم أنفسهم بتعليم صبيان المسلمين القراءة والكتابة وأطلق بعضهم ، ولم يحدث فى أثناء أسرهم أن تعرض أحد منهم للتعذيب والتنكيل على النحو الذى تعرض له أسرى العرب فى العصر الحديث على يد مدعى الحضارة والمدنية فى القرن العشرين •

هذه المبادىء التى توارثها العرب عن آبائهم وأجدادهم وتعلموها من دينهم وأصبحت جزءا من عقيدتهم التى يدينون بها هى التى فرضت عليهم أن يكونوا انسانيين فى معاملاتهم للأسرى من أعدائهم •

لقد تمكن الجيشان المصرى والسورى فى معركة « العاشر من رمضان » من أسر أعداد كبيرة من جنود العدو ، وكان فى الامكان أن يعامل هؤلاء الأسرى بالمثل ، ولكن أبت التقاليد العربية والمبادىء الدينية ذلك ، وعوملوا معاملة حسنة شهد بها العدو نفسه ، وتحدث بها الأسرى فيما صرحوا به من أحاديث أمام الصحفيين الأجانب الذين وفدوا من جميع أنحاء العالم ، شاكرين لمصر حسن معاملتها لهم •

ولقـــد اعترف كثيرون منهم بأنهم كانوا مضللين مســـوقين لا يدركون عن العرب شـــيئا الا أنهم شعب متخلف ــ ولكنهم الآن عرفوا أن العرب قوم متحضرون يسيرون وفق منهج كامل من القيم والمثل التى أشرقت بها ديانتهم السمحة يدعمهم فى ذلك حضارة قديمة عمقها آلاف السنين • ،

فى موقعة « أليس » التى خاضها خالد بن الوليد ضد الفرس • جمع الفرس لخالد من العرب الموالين لهم أعدادا كبيرة ضموها الى جيشهم الزاحف الذى لاقوا به خالدا فى هذه المعركة على شاطىء الفرات ، وسار اليهم خالد على تعبئة كاملة كعادته وبدأ الالتحام بين الجيشين على أشده وطال القتال الذى أثار حمية خالد ، فنذر ــ وكان قريب عهد بالوثنية ــ أن ينذر لله الضحايا ان مكنه من أعدائه فلا يســـتبقى منهم أحدا يقدر عليه حتى يجرى النهر بدمائهم •

وانتصر خالد فلم ينس نذره ، وطلب من جنوده أن يأسروا أعداءهم ليفى بنذره •

ولكن هذا الأمر لم يرض المسلمين وثاروا به • على الرغم من أنه كان يمكن الاعتذار عن خالد على النحو الذى أوضـــحه المرحوم العقاد فى كتابه عبقرية خالد بقوله : ان ذلك كان جائزا فى شرعة الحرب فى هذه الأيام ، وأن صنيع خالد بأسراه كان فى نظير ما كان يصنع هؤلاء الفرس بأسراهم ، وان خالدا ما زال قريب عهد بالوثنية التى كانت تعتقد أن فى ذلك قربانا لله وهو اعتقـــاد كان يوائم صرامة طبعـــه وما فطـــر عليه من بداوة مخزومية •

كان هذا التصرف من خالد مدعاة للانتقاد عليه ومن الأسباب التى جعلت عمر بن الخطاب فيما بعد يعزله قائلا : ان فى سيفه خالد لرهقا •

ذلك لأن قتل الأسرى ليس من شريعة الاسلام فى شىء اللهم الا أن يكون ذلك حسما للشر والفساد اذا لم يحسما الا بهذه الطريقة على النحو الذى فعله النبى صلى الله عليه وسلم فى بنى قريظة •

الا أن التاريخ الاسلامى كله شاهد بحسن معاملة المسلمين لأسراهم • يرعونهم رعاية كاملة ويقدمون لهم جميع ما يحتاجون اليه حتى يتم فى شأنهم المن أو الفداء كما يحدث بذلك القرآن « فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » •

ولقد صفح عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن أسرى الحروب فى الفرس والروم وكم ظفر المسلمون فى فتوحاتهم العديدة بآلاف الأسرى فى معارك العراق والشام ومصر فسرحوهم وعاملوهم بحكم الأسرى فى القرآن الكريم • ولقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حق الأسرى « استوصوا بهم خيرا » والدليل على ذلك يحكيه أحد الأسرى وهو أبو عزيز بن عمير نفسه قائلا : « وكنت أسيرا فى رهط من الأنصار حين أقبلوا من بدر ، فكانوا اذا قدموا غذاءهم وعشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما يقع فى يد رجل منهم كسرة خبز الا نفحنى بها ، فأستحى وأردها على أحدهم فيردها على ما يمسها • جاء فى مقال للدكتور محمد رأفت عثمان فى مجلة الأزهر : من مظاهر عناية الاسلام بالأسرى

وجوب المعاملة الطيبة لهم ، فيوصى الاســلام بحسن معاملتهم فلا يكون ما فعله أعداؤنا بنا فى الحرب سببا فى الانتقام من أسراهم ، لأن الكرامة الانســانية محفوظة دائما فى شريعة الاسلام ، والأمر الالهى يجب أن يكون ماثلا دائما أمام قــادة المسلمين ، وهو أمر الله عز وجل أن يتقوا حتى عند ردهم على اعتداء الآخرين عليهم • يقول ســبحانه « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » •

وقد اعتبر الاســلام اطعام الأســير قربة من القربات التى يتقرب بها المؤمنون الى ربهم ، ويظهر هــذا واضحا فى قول الحق ســبحانه وتعالى « ويطعمون الطعام على حبه مســكينا ويتيما وأسيرا » •

وسل التاريخ يحدثك عما ضربه المسلمون من مثل مضيئة فى تاريخ علاقة الانسان بالانسان تطبيقا لأوامر هــذه الشريعة السمحة التى ما جاءت الا لاحياء الانسان ، وصدق الله اذ يقول « يأيها الذين آمنوا اســتجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لمــا يحييكم » فان الاسلام أحياهم بعد أن كانوا موتى بكفرهم • وتاريخ المعارك يسطر بالنور ما كان يفعله المسلمون المنتصرون مع أسراهم وقد أمر الرسول أصــحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء (كما رأينا فى قصة أبى عزير المــاضية) •

ثم يقول : فاذا ما علمنا أن الاسلام يوصى بالعناية بالمرضى والجرحى من الأسرى ويمنع تعذيب العدو أو قتله غيلة ، بل أمر باكرامهم أدركنا مدى ما فى هذه الشريعة الخاتمة من السمو

بالانسانية والارتقاء بها الى آفاق لا يمكن أن يرقى اليها أى تنظيم سواها ، ويكفى أن الاسلام قد أتى بهذه المبادىء منذ أربعة عشر قرنا ، ولم تهتد القوانين الوضعية الى تنظيم أمر العناية بالمرضى والجرحى ومنع تعذيب العدو تنظيما كاملا الا بمقتضى اتفاقية جنيف المنعقدة سنة ١٨٦٤ م والتى عدلت بمعاهدة سنة ١٩٠٦ م ثم باتفاقية ٢٧ من يوليو سنة ١٩٢٩ م ، ومع ذلك فان الحقوق التى تقررها هذه القوانين للمرضى والجرحى لا تقاس بما قررته مبادىء الاسلام •

يضاف الى ذلك أن الاسلام جعل هذا الأمر وهو العناية بالأسرى واجبا يعاقب تاركه بخلاف القوانين الوضيعة التى لم تجد من يفرض تطبيقها على الدولة التى تسىء معاملة الأسرى أو تهدر كرامتهم وانسانيتهم » •

نقول هذا فى الوقت الذى أساءت فيه اسرائيل معاملة أسرى العرب ، ولكن ذلك أمر لا يستغرب منها وهى التى أبادت العرب بالجملة وأقامت المذابح البشعة للتخلص منهم ومآسيهم التى صنعوها فى مختلف المدن والقرى العربية فى فلسطين وسيناء وخير شاهد على تجردهم من كل معنى انسانى •

وحتى لاننسى فلنذكر هذه الحقائق على سبيل المثال لا الحصر:

ـ قامت الهاجاناه بتنفيذ الهجوم الوحشى الغادر على القرية العربية الآمنة دير ياسين فقتلت ٢٥٠ عربيا فى ١٩٤٨/٤/٩م •

ـ قامت كذلك فى ١٩٤٨/٤/١٣م بذبح وقتل جميع سكان قرية ناصر الدين •

ـ وفى الفترة الممتدة بين ١٨ و ٢٠ أبريل عام ١٩٤٨ قتلت ٢٢ عربيا فى جبال الكرمل •

ـ فى مايو ١٩٤٨ شنت قوات اسرائيل أربع هجمات على قرية القبو وقتلت ثلاثين عربيا •

ـ كما قامت بابادة معظم أهالى قرية بيت دوراس ، وأبادت جميع سكان قرية بيت الخورى وجمعت سكان قرية الزيتون فى مسجد القرية ونسفته بمن فيه •

ـ فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ارتكبت القوات الاسرائيلية مجزرة رهيبة فى قرية كفر قاســم بالأردن ، ثم ارتكبت عقب العدوان الغادر على مصر مجازرها البشــعة على القرى الآمنة فى رفح وغزة وخان يونس •

ـ لا ننسى عدوانها الغادر على مدن السويس الآمنة وهدمها المساجد والمنازل وقضاءها على كثير من السكان العزل •

ـ لا ننسى حــريق المســجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين •

ـ لا ننسى غارتها الوحشية على مدرسة بحر البقر ومصرع عشرات الأطفــال فى محراب العلم ممن لا حول لهم ولا قوة ، وقضــوا بذلك على براءة الطفولة الســعيدة التى لا تفكر فى عدوان ولا تستعد لقتال •

ـ لا ننسى مصرع العمال الآمنين فى مصنع أبى زعبل حيث يشيد هؤلاء العمال مجدا صناعيا لا علاقة له بالحرب أو الأدوات القتالية ولكنها الروح العدوانية التى لا تفرق بين الأهداف المدنية

والأهداف العسكرية • وهذا ان دل على شىء فانما يدل على البربرية والوحشية التى يتسم بها هذا العدو الغادر المتجرد من كافة القيم الأخلاقية والانسانية •

هذه أمثلة قليلة دالة على وحشية هذا العدو الذى تجرد من كل ما يمت الى العالم الانسانى بصلة ، وليس بمستغرب على قتلة الأنبياء والمرسلين أن يفعلوا أكثر من هذا •

ولكن المستغرب حقا أن يزعم عنهم صانعوهم ومساندوهم أنهم منارة للحضارة فى الشرق الأوسط •

فأى حضارة تلك التى تستبيح لنفسها أن تنتهك حرمة الشهداء فتنزع قرنيات عيونهم وصمامات آذانهم فى معارك أكتوبر الأخيرة ؟

ولقد استنكر هذا العمل الخسيس جميع دول العالم المتحضرة وحتى فى الدول التى تساند العدوان ظهرت أصوات احتجاج من ذوى الضمائر الحية تستنكر هذا العمل الاجرامى •

ولقد أثار هذا الاعتداء الصارخ شعور الرأى العام العالمى فاستهجن هذا التصرف المنافى لكل مبدأ كريم والمجافى لكل ذوق نبيل •

٧ ــ رعاية أسر المقاتلين والشهداء :

من الاشعاعات الاسلامية الرائعة فى معركة العاشر من رمضان مادل على أن الدولة لم تنس أن تؤمن لأبنائها المقاتلين ظهورهم ، فترعاهم فى أسرهم وأولادهم ، وتخلفهم خيرا فى أهلهم •

ولقد قطعت الدولة بهذا السلوك الطريق على كل فتنة يمكن تطل برأسها أو شك يحاول أن يزرعه العدو فى الجبهة الداخلية .

وهذا الاتجاه الى جانب صدوره من نبع الدين الاسلامى وهدايته — فالنبى يدعو الى ذلك صراحة ويدعو الى أن ترعى رعاية خاصة أسر المقاتلين بقوله « من خلف غازيا فى أهله فقد غزا » — نابع كذلك من واجب الدولة وشعورها بالمسئولية . يعزز ذلك الدوافع الانسانية التى تفرض رعاية الغائب حتى يعود والمقاتل حتى ينهى مهمته المقدسة ..

رأينا ذلك واضحا فى سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فدستوره الذى أعلنه على الناس حين ولى الخلافة يظهر فى قوله : « أربع من أمر الاسلام لست مضيعهن ولا تاركهن لشىء أبدا : القوة فى مال الله وجمعه اذا جمعناه وضعناه حيث أمر الله ، وقعدنا آل عمر ليس فى أيدينا ولا عندنا منه شىء ، والمهاجرون الذين تحت ظلال السيوف ألا يحبسوا ولا يجمروا وأن يوفر فىء الله عليهم وعلى عيالاتهم وأكون أنا للعيال حتى يقدموا ، والأنصار الذين أعطوا الله نصيبا وقاتلوا الناس كافة أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن سيئهم وأن يشاوروا فى الأمر ، والاعراب الذين هم أصل العرب ومادة الاسلام أن يؤخذ منهم صدقتهم على وجهها وأن يرد على فقرائهم ومساكينهم » .

وقد التزم عمر رضى الله عنه بهذا الدستور الحكيم فنفذه بكافة بنوده كما أعلنه ، وفى الناحية الخاصة بالمقاتلين فقد رعاهم أحسن رعاية فى أنفسهم وفى أسرهم .

ففى ميدان القتال أوصى بهم قوادهم خيرا ، فأمرهم أن

يرفقوا بهم ولا يجشموهم من المتاعب ما لا يُطيقون ، ومن أمثلة ذلك وصيته لسعد بن أبى وقاص حين قال له فى رسالته اليه : وترفق بالمسلمين فى مسيرهم ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر ينقص قوتهم • ثم يقول له •• وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم •

والهدف واضح فى هذه الرسالة لأن عمر أراد أن يريح جنده مكافأة له على عطائه لدينه وعروبته أولا ثم ليقدم العطاء بصورة أكمل وأفضل حيث وجد خلفه من يعينه على أمره ويكفيه شئون أهله وولده وحيث هيئت له فرصة الاستجمام ليستعيد نشاطه ويواصل جهاده •

وبذلك كان عمر بن الخطاب سباقا فى تنفيذ القواعد الحربية التى تعلمها فى مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم وسار عليها من قبله أبو بكر الصديق رضى الله عنه •

وكان عمر بن الخطاب يتفقد شئون أسر المقاتلين ويفرض لهم من بيت المال ويتتبع أمرهم ويقوم بشئونهم خير قيام • وربما كان يحمل على كتفه الدقيق والسمن الى المحتاجين من أفراد هذه الأسر يستعذب المشقة ويستسهل الصعب ، ويرى أن ذلك واجب عليه أن يؤديه حتى لا يحاسبه الله على التقصير فيـــه •

وعمر كان قمة فى ذلك قريب الاستجابة سريع العبرة شديد الخشية • كان يقدم فى عام المجاعة طعاما فرأى من يأكل بيده

اليسرى فزجره ، فلما علم أن يده اليمنى قطعت فى الجهاد بكى وجلس بجوار هذا الرجل يقول له : من يوضئك ؟ من يغسل ثيابك؟ من يطعمك ؟ من يعتنى بأمرك ؟ وفرض له ، وأمده بمن يعينه •

كان عمر مترسما خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان شأنه الرفق بمن معه من المسلمين ، فلم يكن يؤثر نفسه بشيء من الراحة دون أصحابه وقد مر بنا فى سيرته العطرة كيف أنه كان يقوم بالخدمة كفرد من صحابه ، فقد ذبحت مرة شاة ، فقال أحدهم : على سلخها ، وقال الآخر : وعلى طبخها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وعلى جمع الحطب • واختار أثقل المهام مشقة •

فهذا يعلمنا الى جانب التواضع الرفق بالأصحاب وتكريمهم فى جهادهم ، وفى غزوة الخندق فى أثناء حفره ، كان يمر بنفسه مشجعا الصحابة على الحفر ويعمل بيده معهم وربما ارتجزوا فشاركهم فى الارتجاز • كان يقول مرة : اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة فيردون عليه قائلين :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

وفى هذا العمل تكريم للجنود ورعاية لهم ووضع القدوة أمام انظارهم فتهون أمامهم المتاعب ويتخطون المصاعب •

فى احدى الغزوت وكانت الركائب قليلة ، كان المسلمون يتعاقبون الدواب التى تحملهم ، وربما اشترك الاثنان والثلاثة فى بعير واحد ، فلم يؤثر النبى صلى الله عليه وسلم نفسه على رفيقيه اللذين كانا معه بالركوب وقال لهما : لستما بأحق منى

بالأجر ولا أقدر منى على السير • وما ذلك الا رغبة منه فى أن يوفر لأصحابه الجهد ويكفل لهم الراحة •

ومن صور تكريم الجنود من النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا أرسل سرية كان فى وداعها ودعا لها بالتوفيق واستقبلها بالبشر والترحاب وربما اعتذر عنها اذا بدا من أصحابها ما يفسر على أنه اخفاق ، والمثل على ذلك نلمسه فى حسن استقبال المسلمين العائدين من مؤتة • فقد ورد أن المسلمين حثوا فى وجوه هؤلاء العائدين التراب ولقبوهم بالفرار • ولكن النبى صلى الله عليه وسلم رد لهم اعتبارهم وقال : ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار •

وفى ذلك آية على معرفة النبى لأصحابه قدرهم ومكافآته لهم على بلائهم أيا كان هذا البلاء ، وقد لقب خالد فى مؤتة بسيف الله المسلول وكان خالد هو الذى وضع خطة الانسحاب المأمون فى هذه الغزوة •

وجاء بعده أبو بكر رضى الله عنه فسار على هذا المنهج فى تكريم المقاتلين ورعاية أسرهم • لأنه حفظ عنه قوله : لأن أشيع غازيا فأكفيه فى رحلة غدوة أو رواحه أحب الى من الدنيا وما فيها فنراه يخرج فى وداع جيش أسامة راجلا ويرفض أن يركب ويصر على ذلك رغم الحاح أسامة عليه قائلا : وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة •

ويوصى خالد بن الوليد بقوله حين وجهه الى بزاخة : عليك بتقوى الله وايثاره على سواه ، والجهاد فى سبيله والرفق بمن معك من رعيتك ، فان معك أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار ، فشاورهم فيما نزل بك ثم لا تخالفهم » •

وهذا اكبار واعظام لهؤلاء الجنود واشعار لهم بأن الهدف الذى ساروا من أجله أكبر من الأشخاص وأعظم من الفوارق ، والقيادة أمر تنظيمى تدعو اليه الحاجة وتحقيق الغاية • وفى ذلك منهج كامل سليم لابد أن يوفر للمقاتل الأمن والاطمئنان والثقة فى أن الدولة تعرف له حقه وتقدر له جهده وتقف من خلفه صفا واحدا كالبنيان المرصوص ، وتقوم بأمر أسرته وتكفل لها الرعاية والأمان وذلك له أثره فى الاقبال على مهمته فى غبطة ورضا ويعطى للمعركة عطاءها دون خوف أو وجل •

هذه هى دروس الدين التى نبعت منها اتجاهات الدولة الآن فى تكريم المقاتلين وتكريم أسرهم وتكريم شهدائهم الأبرار •

ولقد رأينا ما قدمته الدولة لأبنائها المقاتلين والشهداء من رعاية هى قطرة من بحر ما قدموه وهى جزء من حقوقهم الواجبة على الدولة ، ولا أقل من أن يكون لهذا المجاهد الذى يجود بروحه فى ساحة الشرف والجهاد الحق الأوفى فى أن يقدم له حيا ولأسرته شهيدا كل عون وييسر له كل صعب وما يقدم لهذه الأسرة شىء يسير جدا اذا قورن بما بذله بطلها من جهود وما قدمه من تضحيات •

لقد وضعت الدولة فى اعتبارها أن تيسر سبل التعليم أمام أبناء المقاتلين الشهداء فى جميع المراحل وأن تقرر لهم نسبة خاصة يتجاوز فيها عن شرط المجموع ، ووضعت لهم أولويات فى شتى مرافق الدولة ، وخدماتها كما فرضت لهم أن ينالوا الأوسمة

والأنواط والمكافآت التشجيعية المادية والمعنوية وأن تقام لهم الاحتفالات اللائقة بهم وبما قاموا به من بطولات •

وأمامنا الآن مثل واضح هو تكريم الرئيس لضباط وأفراد القوات المسلحة الذين أدوا بطولات فى حرب العاشر من رمضان وتوزيع الأوسمة عليهم فى احتفال مهيب عقد بمجلس الشعب واشتركت فيه طوائف الأمة ، وليس ذلك سوى اعتراف بالجميل لهؤلاء الابطال الذين قدموا للوطن أعظم هدية هى الانتصار على عدوه الباغى مضحين فى سبيل هذا الانتصار بأزواحهم ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود كما يقول الشاعر العربى القديم •

أن هذا التكريم صورة من تكريم النبى صلى الله عليه وسلم لأبطال المعارك كما سبق أن أشرنا • ولقد تجاوز تكريم النبى لأبطال بدر غاية كل تكريم فقد عفا عن مسيئهم على الرغم من عظم الاساءة : أراد حاطب بن أبى بلتعة وهو صحابى شارك فى غزوة بدر أن يخبر أبا سفيان بنية هجوم النبى صلى الله عليه وسلم على مكة ، وكان النبى قد أوصى بكتمان الخبر ، وقد أنبأ الله رسوله على خطاب حاطب بن أبى بلتعة الذى أرسله مع امرأة متوجهة الى قريش ، فأرسل خلفها من استرد منها الخطاب •

وهم عمر أن يقتل حاطبا ولكن النبى عفا عنه قائلا انه ممن شهد بدرا • وشهود بدر فى رأى النبى كفاءة لا تعدلها كفاءة ، وتقدير لصاحبها ما يعدله تقدير •

وحين قتل بعض القواد والأفراد فى مؤتة أمر النبى صلى الله

عليه وسلم بتقديم الطعام والمساعدات لأسرهم ومما يؤثر عنه فى ذلك قوله : اصنعوا لآل جعفر طعاما فهم فى شغل عن ذلك .

وهذا يعنى تفقده الكريم لأسر الشهداء وايذان لأصحابه بأن يكون هذا الأمر فى اعتبارهم . فهو صورة من صور المروءة والشهامة والنجدة وتقدير العمل للعاملين ومكافأة أصحابه عليه.

ولئن كانت الدول فى العصر الحديث تعتنى الآن بهذا التقليد على أساس أنه واجب وطنى وقومى فان الاسلام سبق اليه ووضع أسسه الأولى ومن هذا النبع الفياض استقينا نحن مثلنا ووضعنا مناهجنا وأفكارنا فى تكريم الأبطال والمجاهدين .

لقد سمت همة الدولة ، أن تكون مع المقاتل فتشاركه شعوره ووجدانه وتشعره بأنها معه فى كل خطوة يخطوها وفى كل فكرة تجول بذهنه وأمل يراود خياله فقررت أن تستفتيه فيما يريد وتيسر له سبل التعليم اذا رغب فيه حتى آخر مرحلة منه ، وتقدم له وسائل الاجادة فى فنه ومهنته ووظيفته ، وتدبر له أمر العمل الذى يحبه متى انتهت خدمته .. وتلك سابقة من سوابق الهمم وهى على الرغم من ذلك جزء من كل يقدمه هو لوطنه ونقطة من بحر يفيض هو به فى جهاده وكفاحه من أجل أمته ورفع شأنها وتحريرها من غاصبها .

٨ ـ القدوة الطيبة :

ظهرت فى هذه المعركة الروح الاسلامية الأصيلة التى تجلت فى العطاء الكامل من القائد لجنوده وفى رسمه بنفسه أمامهم صورة عملية للكفاح والتضحية .

فلم يعد القائد كما كان مجـرد آمر فحسب ، ولكنه آمر ومنفذ • وهو يتقدم جنوده ليروا فيه مثلهم الأعلى • هو فى المقدمة دائما وهم من ورائه •

لم تعد الصورة صورة القائد المتفرج الذى يصدر أمره ثم ينتظر نتيجته ولكنها أصبحت الصورة المثلى للقائد الذى يجنى بنفسه ثمار عمله ، فهو يقول لهم : اتبعونى •

وكثر لذلك الشهداء من الضباط بعد أن كان فيما مضى معظم الشهداء من الجنود • وهذا الاتجاه الجديد من الضباط هو بعينه المثل الذى رسمه الاسلام فى عصوره الزاهية •

لقد علم الاسلام أبناءه أن يكون القائد على مستوى المسئولية والقدوة ضاربا لجنوده ببسالته واقدامه المثل الأعلى لهم • وهذا الدرس هو الذى نفذه الضباط والقادة عمليا فى حرب العاشر من رمضان •

فقد ظهرت روح الاستماتة والاصرار فى القادة والجنود على السواء بصورة واضحة مشرفة ، وروت لنـا المعارك الضارية قصص الاستبسال التى ظهرت جلية فى القادة والضباط الذين كانوا يتحدون الموت ويقابلون الطلقات ، ويتسلقون السواتر ، ويتقدمون جنودهم يصـدون الدبابات ويقتحمون على العـدو التحصينات ، ويتخطون العقبـات ، ويصـنعون البطولات ، ويسطرون بدمائهم أروع صور الاستشهاد والبطولة والتضحية •

لقد وضح المثل فى أذهانهم وأدركوا القيمة الحقيقية لرسالتهم ورسخت فى أعماقهم العقيدة القتالية التى استهانت بالصعاب وأوضحت المفهوم العميق لرسالة الجندى والقائد فى الميدان •

ان رســـالة القائد فى هذه المعركة لا تظهر فى مجرد اصـــدار الأوامر ولكنها تظهر فى أن يرى جنوده صـــورة منه فى بطولته وايمانه وتضحيته ، وذلك لا يأتى الا عن طريق التربية الصحيحة السليمة للقائد الذى يحسن تفهم الرسالة ويؤمن بقيمة العمـــل الذى يقوم به ويعتقد فى أن هذا العمل له ارتباط وثيق بدينه وقوميته ووطنه •

كان الجندى قديما لايعرف لماذا يقاتل ، لأن الهدف غير واضح فى ذهنه ، وربما أدى ذلك الى عدم اهتمامه بدوره وأدى بالتالى الى عدم استمساكه بأرضه وعدم محافظته على سلاحه • وقد يكون السبب فى ذلك عدم وجود المثل الأعلى أمامه ، فقائده ليس على المستوى الذى يريد لأنه يرى فيه صورة روتينية فحسب يصدر اليه الأمر ثم يتخلى عنه وقت الشدة •

أما فى هذه المعركة فالقائد شىء آخر ، هو قائد وجندى ، هو آمر ومأمور ، هو موجه ومنفذ ، هو نموذج عملى ونشـــاط دائب وحركة دائمة وقوة وثورة ، وفكر ثاقب وتصرف سريع •

يروى لنا قائد الجيش الثالث الذى أبلى بلاء حسنا ووقف موقفا صامدا وأذهل العالم بصموده وثباته : أن الموقع المصرى فى كبريت وقـــد أحاطت به القوات الاسرائيلية وشددت عليه الهجوم من كل جانب وبكل الأســـلحة رفض الاستسلام وأصر قائده البطل على المقـــاومة وضرب بكل العروض التى وجهها اليه الاسرائيليون عرض الحائط، وخطب فى جنوده خطبة ألهبت حماسهم قائلا لهم : ننا لن نترك موقعنا الا بعد أن نصبح جثثا هامدة ، وقد دافع عن هذا الموقع بشرف وفدائية فائقة ودمر للعدو العديد من دباباته •

كما أن عملية تموين هذا الوقع كانت ملحمة بطولية رائعـــة قامت بها قواتنا المسلحة فى كافة المواقع ، فلقد أعلنت اسرائيل أكثر من مرة أنها سوف توقف بالنيران امدادات الموقع ولكنها لم تستطع ، واستمر الامداد ولم يتوقف حتى أثناء الاشتباكات التى أعقبت وقف اطلاق النار عندما كانت « النشـــات » رغم القصف الجوى العنيف للعـــدو وضربات مدفعيته البعيدة المدى تسير بانتظام •

وقد أثنى قائد الجيش الثـــالث على قائد هذا الموقع قائلا : لقـــد كان قائدا كفئا ككل قادة مصر العسكريين الذين خاضـــوا معارك أكتوبر ، لقد كنت مطمئنا لقيادته لهذا الموقع ، لقد كان مثالا حيا للقائد المصرى الأصيل ونموذجا مصغرا لقائدنا الأعلى الذى أعطى شرارة البدء يوم اتخذ قراره التاريخى •

ومن الأمثلة الحية على بطـــولة القواد واستماتتهم وضربهم المثل الأعلى لجنودهم الذين رأوا فى ضباطهم وقوادهم قـــدوة طيبة ما حدث فى أثناء اقتحام جنودنا النقطة ١٤٩ التى كانت تعتبر من أقوى قلاع العدو على خط بارليف ، وكان أن استمر الحصار والقتال بضراوة حولها ليل نهار ، بين قواتنا تعاونها الدبابات وبين قوات العدو ، وكان الفضل فى سقوط هذه النقطة فى أيدى قواتنا يعود الى قائد شجاع اقتحمها ومعه ستة أفراد فقط رغم اصابته •

وفى معركة جبل المر تقدم القائد قواته فى الخط الأول ضاربا بذلك المثل الأعلى لهم ، حتى تم الاستيلاء على مرابض نيران بطاريات مدافع العدو فى عيون موسى ومتلا والمر •

وفى كل شبر من ميدان المعركة وفى كل خطوة من خطواتها كان القواد أمام جنودهم يتقدمونهم يعبدون لهم الطرق ويرسمون أمامهم خطــوط الانتصار ، لم يتخلف قـــائد عن موقعه ولم ير ضابط خلف جنوده ولكنه حرص على أن يقول للجنود : أنا هنا أمامكم فاتبعونى وتلك صـــورة جريئة وبطولة حقه • لقد نفذوا حرفيا قول الشـــهيد عبد المنعم رياض الذى سبقهم فى ميدان الشهادة منذ سنوات : ان مكان القادة الصحيح هو بين جنودهم • ولعلنا نعرف أن سبب استشهاده أنه كان فى مهمة يعرف بها طريقة العدو فى استخدامه أسلحته وادارة معركته • ومات فى الميدان وفى مقدمة الصفوف • وهذا هو الدور الحقيقى للأبطال والغاية المثلى لهم • نذروا أنفسهم للشهادة وصنعوا بدمائهم مجد الاوطان •

وهذه هى الروح الاسلامية الخالدة التى ظهرت فى قيـــادة خالد بن الوليد رضى الله عنه وغيره من القـــواد الصـــناديد فى صدر الاسلام وفى تاريخ المسلمين • ففى معركة اليمامة حمى وطيس الحرب ونادى خالد فى أصحابه وهو يتقدمهم قائلا لهم : لا أوتين من خلفى ، أى أنه طلب منهم أن يحموا ظهـــره وهو يمضى أمامهم ، وقاتل فى شجاعة واستبسال حتى فتح الله له • وفى غير هذه المواقع كان هكذا شأنه أبدا •

وفى موقعة اليرموك تجلت بطـــولة القواد المســـلمين وهم يتقدمون جنودهم ضاربين لهم المثل الأعلى حتى استشهد بعضهم وهو يخاطر بنفسه أمام جنوده •

وهذا طارق بن زياد فى فتح الأندلس يرسم لجنوده خطة القتال

مختارا لنفسه أصعب المهام قائلا لهم : أيها المسلمون ، ما فعلت من شيء فافعلوا مثله ، ان حملت فاحملوا وان وقفت فقفوا ، ثم انى عامد الى طاغيتهم حتى أخالطه أو أهلك دونه ، فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تفشلوا فتذهب ريحكم ، وهأنذا حامل عليه فاحملوا بحملتى .

ولو تتبعنا تاريخ كل القواد المسلمين لرأيناهم مثلا عليا فى التضحية والفداء والمخاطرة بالروح والتقدم أمام الجنود لا يثنيهم عن ذلك أى صعب ولا يعوقهم أى عائق لأنهم حرروا قصدهم وعقدوا عزمهم وعرفوا هدفهم .

لقد ربوا أنفسهم على العقيدة القتالية الحقة التى لا تقاتل الا لهدف ولا تحارب الا من أجل غاية كريمة ومبدأ عظيم .

وهذه العقيدة القتالية هى التى ظهرت فى معركة العاشر من رمضان فآمن بها الكبير والصغير الجندى والقائد ، وأدرك الجميع أنهم يقاتلون عن شرفهم ويحررون أرضهم ويدافعون عن كرامتهم ويطردون غاصبهم ويعيدون للكرامة الانسانية مجدها المفقود ويردون الابتسامة الى مكانها فوق الشفاه التى حرمت منها سنين طويلة بسبب العدوان البربرى والغزو الهمجى .

لقد وعى القادة دروسهم جيدا وتفهموها من معالم دينهم الذى أرسى دعائمه القائد الأعظم محمد بن عبد الله حيث كان مكانه فى الطليعة بين جنوده المحاربين .

فى غزوة بدر وقف مجردا سيفه يحض جنوده على التقدم ويحذرهم من التقهقر ، وفى غزوة أحد لم يتخلف عنهم ولكنه كان فى مقدمتهم وثبت فى موقفه عند اضطرابهم ، ولم تأخذه المفاجأة بل كان ثابتا كالطود وأصابه بعض جراح فقال : هل أنت الا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت • وفى حنين كان شامخا وقد فر من حوله الصناديد ، ونادى بأعلى صوته يرد المسلمين المأخوذين حوله ، فلما رأوا ثباته عادوا اليه سراعا وتملكوا زمام الموقف بعد أن كاد يفشل ، وتم النصر بثبات القائد للمسلمين ، وفى غزوة تبوك يضرب لجنوده المثل فى الصبر وتحمل مشاق السفر فيسير المسافات الطويلة على قدميه والمسلمون وراءه يركب بعضهم ويترجل بعضهم ، وما كان أشوقهم الى أن يؤثروا النبى على أنفسهم فيريحوه ويتعبون ، ولكنه المثل الأعلى الذى يريد أن يعلمه لجنوده ويضعه أمامهم لينتفعوا به فى مستقبل أيامهم ويحفظوه للاعتبار به فى حياتهم وفتوحاتهم •

هذه المثل حفظها قادتنا من الدين الاسلامى القديم الذى وضع قواعد الحرب والسلام • وتحلوا بها قيادة وجنودا وساروا فى طريقهم لا يلوون على شئ فصنعوا المعجزات وحققوا المستحيل •

لقد كشفت هذه المعركة عن المعدن الأصيل للشخصية العربية المؤمنة بين القادة والجنود ، وقد ساروا جميعا على المنهج الاسلامى الذى ورثه الأبناء عن الآباء ، ودانوا به عقيدة وفكرا والهاما ، وطبقوه نصا وروحا ، وكانوا فى تصرفهم فى ميدان المعركة يصدرون عن هذا النبع الفياض بالبطولة والثقة والتضحية

الخالصة ، التى لا ترهب امامها عدوا غاشما ، ولا تخشى ما أعده لها من معدات الفتك والدمار ، ولا تفكر الا فى استخلاص النصر الذى يرفع كلمـــة الله ويحق الحق ويبطـــل البـــاطل ولو كره المجرمون •

ولا نقول ان فى تقدم القائد على جنوده مفهوما جديدا ولكنا نقول ان هذا مساير لطريق الاسلام الواضح الذى لا عوج فيه ، لقد أحيت هذه المعركة فى نفوس الضباط والجنود المثل القويمة التى أهداها الدين للبشر وعلمهم كيف يكون العطاء الخالص دون انتظـــار للجزاء وكيف تكون الحيـــاة فى التضـــحية والخلود فى الاستشهاد •

آمن القواد برســـالتهم فلم يتعلقوا بالمادة ، ولكنهم تعلقوا بالغـــاية الكريمة وآمنوا بالمبـــدأ الشريف ، وأدركوا أن عليهم رسالة يهون فى تحقيقها كل غال ويرخص كل بذل ، فخاضوا الموت غير هيابين ، واجتنوا النصر شهيا بالدم الذكى وبالروح الغالية وهذا أقصى ما يبذلون •

وكان القدوة الكبرى للقواد فى ذلك قائدهم الأعلى ، الذى لزم مركز القيادة وشارك بنفسه فى ادارة المعارك متابعا خطواتها فى دقة وعنـــاية واهتمام ، مرتديا الزى العســـكرى رمز التضحية والفداء ، ضـــاربا بذلك المثل فى الالتزام بالواجب وأدائه على خير وجه وأرضاه •

ولقد ظهر فى تصرفاته وسلوكه شعوره بالتبعية الكاملة التى ألقتها الأقدار على عاتقه ـــ وقد تجلت حكمة الاختيار ـــ فى هذه

الظروف القاسية التى مرت بها البلاد ، ولقد أثر عنه فى تصريحاته المتعددة أنه كان يعتبر كل الجنود أبناءه ، يطلب من القواد فى وحـــداتهم المختلفة المحافظة عليهم ورعايتهم ، ويدعو الله أن يكتب لهم السلامة والتوفيق فى مهامهم .

وما أجمل تعبيره عن الانتصار فى هذه المعركة الخالدة حين وقف يكرم أبطالها ويحيى شهداءها قائلا :

« ان فجرا جديدا قد طلع على أمتنا ، فجر تتدعم فيه قلاع الحرية لتدك كل دعاوى وأطماع الأقوياء .

فجر الحب والبنـــاء ..

فجر السلطان فيه للقـــانون ..

فجر يرفع فيه كل مواطن رأســـه فى كبرياء ، ويحنى الحاكم رأسه طاعة للشعب » .

وهذا قبس من روح الاســـلام العظيم الذى أمر بالشورى وحض عليها ووصف القائمين بها بأنهم مؤمنون حقا .

* * *

خوارق وآيات في المعركة

وبعد ، فقد عرضنا فى هذه الصفحات بعض الملامح الاسلامية لمعركة العاشر من رمضان ، ولم نقـــدم كل الملامح لكثرتها ، وحسبنا أننا أشرنا الى ذلك لنوضح أن المفاهيم الاسلامية التى ظهرت فى هذه المعركة كان لها أثر كبير فى وضع النهاية السعيدة التى اختتمت بهـــا •

لقد كان وعد الله حقا لعباده المؤمنين بالنصر حين قال لهم : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » •

وحين ظهر الايمان تحقق النصر •

وهذا درس عملى يعلمنا وجوب المحافظة على هذه الجوهرة الغالية التى اكتشفناها منذ العاشر من رمضان فى أنفسنا •• جوهرة الايمان ••

لقد طمرت هذه الجوهرة عوامل كثيرة من مخلفات النكسة التى زرعت اليأس ونشرت الشكوك وأرسلت الضباب يغلف العيون والقلوب حتى لا ترى النور • وكانت المعركة هى النـــار التى أزالت هذه الغشاوة وبددت السحب وقضت على اليأس وأنبتت فى قلوبنا الأمل القوى الذى صنع المعجزات •

وكل ذلك يتطلب أن نحسن من سلوكنا وأن نرفع من قيمتنا ، وأن نؤدى الواجب على أكمل وجه ، وأن نعرف لله المنة فنشكره عليها ليتم لنا النصر الكامل ، ونتعزز بذلك الثقة الكبرى فى أحقيتنا لهذا النصر ما دمنا قد اتخذنا له الأهبة الكاملة .

ليس النصر شيئا هينا ، ولكنه مجهود وكفاح وعمل وسلوك ، وهو مع ذلك توفيق من الله لمن يأخذ له الأسباب .

وأول هذه الأسباب هو الايمان :

ويظهر الايمان فى قوة الاعتقاد فى الله مانح النصر والتأييد ، وفى قوة العقيدة القتالية التى يجب أن تتغلغل فى النفوس ، حتى يعرف المقاتل الهدف من قتاله ويهىء نفسه لذلك .

والايمان هو الذى يملى على المقاتل الاستعداد الذى أمره الله به بكافة ما يمكن من وجوه الاستعداد المادى والمعنوى ، ويدخل فى نطاق ذلك التدريب الكامل المتواصل والتهيؤ الروحى والنفسى والذهنى للمعركة ، وهذا هو دور التوجيه المعنوى فى وحدات القتال المختلفة .

الايمان هو الذى يمحوا كلمة المستحيل من قاموس المقاتل ويجعله يؤمن بامكانية ما يريد طالما يصحبه الطموح ويحدوه الأمل وتغذيه الثقة وتوطد له الأسباب الطريق .

ولقد كان هذا الايمان بنوعيه مصاحبا لجنودنا ، وهو الذى أملى عليهم أن يضعوا فى اعتبارهم الوصول الى

هدفهم • فلم يقض اليأس على دوافع الأمل فى نفوسهم ، ولم تحطم الهزيمة السـابقة عوامل القوة فى أرواحهـم ولكنهم استمدوا من ذلك زادا يتزودون به فى طريقهم نحو هذه الغاية ومضوا فى أقدام ثابتة وأرواح وثابة وقلوب يعمرها الايمان بالله والوطن وتعززها الثقة فى النصر الذى وعدهم الله به •

لله هؤلاء الأبطال الذين كافحوا مختلف العوامل فى نفوسهم ومن حولهم واستسهلوا الصعب حتى حققوا المستحيل • لقد انتزعوا اعجاب العالم بما أبدوه من بطولة هم جديرون بها لأنهم أبنـاء العرب الميامين وتربية الاسـلام الأبية وخريجو مدرسـته العزيزة ، التى أسس دعائمها محمـد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم •

ان صور البطولة الخالدة التى قدمها جنودنا فى العاشر من رمضان صور معجزة دالة دلالة حقيقية على أن الايمان يصنع المعجزات •

خوارق المعـركة :

ولقد صاحب هذه المعركة كثير من الخوارق التى أيقظت فى النفوس روحانية عجيبة جعلت الناس مشـدوهين من غرابة ما يرون • فليس لهم بمثل ما حدث عهد لقد قرءوا عنه فى كتب السيرة وأسفار الفتوح والغزوات ، ولكنهم لم يشاهدوه عمليا منذ مئات السنين • وكان من شدة الاستغراب لمـا يحدث أن

وقف كثير من الناس غير مصدق ، يحاول أن يضع تفسيرات مادية تتفق والمعقـــول ، مطرحا كل حساب لأية ظواهر غـــير مرئية ، ولا لوم على هؤلاء فالمقاييس المادية فى عصرنا هى كل شىء الآن ــ وقد قدم العلم للناس فى العصر الحديث ما يذهل له العقل ، فكل شىء عند العلم بمقدار •

ونحن لا ننكر ذلك وقد تفوق فيه جنودنا تفوقا لا حد له ؛ ولله الحمد ، وأثبتوا فى ذلك كفاءة مثالية لانظير لها شهد بها القاصى والدانى ، وخاض تجارب مثيرة وقف أمامها العدو بكل عبقريته العسكرية مشدوها ــ لقد كان تحدى جنودنا للعدو تحديا علميا بكل ما تعنيه هذه الكلمة من مدلولات ؛ ودفعوا فى ذلك ثمنا باهظا ، وأنفقوا أوقاتا طويلة ومجهودات أطول ؛ وكانوا على المستوى الحق لما ألقى على عواتقهم من مسئوليات •

لقد حرموا أنفسهم من كل متعة ولذة ، وحرصوا حرصـــا شديدا على أن يؤدوا واجبهم ليصـــلوا الى غايتهم ويحققوا نتائجهم الباهرة بنجاح ، وجاهدوا أنفسهم جهادا شاقا عنيفا ؛ فوقفوا فى طريق رغباتهم ولذاتهم الخاصة وحرموا طعم النوم ونسى كثير منهم الأجازات ، وقضى العديد منهم أثمن أوقاته رهين التدريب العنيف الشاق فى ظروف قاسية صعبة فرضتها السرية التامة والصمت الشديد رغبة فى البعد عن أجهزة التصنت المعادية وعيون الاستطلاع الرهيبة القاسية •

أليس ذلك جهادا يطلق عليه اسم الجهاد الأكبر الذى كان

يعنيه النبى صلى الله عليه وسلم عقب الرجوع من احدى غزواته ؟

ليس المقصود بالجهاد الأكبر مداومة الصوم وكثرة الاستغفار والعكوف على العبادة فحسب ، لأن الهدف من وراء ذلك هدفه خاص وتأثيره فى المجتمع محدود ، ولكن الجهاد الأكبر الحقيقى هو هذا الاستعداد القوى لتحقيق غاية عظمى تعود على الدين والوطن والمجتمع كله بالخير والسعادة والأمن ، كما فعل هؤلاء الأبطال حين وضعوا أمامهم هدفهم الكبير ومضوا نحوه لا يلوون على شىء ، وصلوا ليلهم بنهارهم فى سبيل تحقيقه ، وضحوا برغباتهم الخاصة من أجله ، وسعوا اليه حثيثا فى جدية تامة وصبر طويل وتعب متواصل ودأب مستمر وبذلوا ما بذلوا برضا نفس عظيم ورغبة قوية مخلصة ، لا طمعا فى شهرة ولا استمطارا لثناء ولا اقتناصا لمنصب •

ذلك هو العطاء الحق الذى تباركه السماء وترعاه وتنظر اليه عين الله فى رضا وغبطة وتظاهره الملائكة بمددها وتحفه بأجنحتها ، والله جل وعز هو الذى يقول : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » •

ليس غريبا أن يمد الله هؤلاء المجاهدين بعونه فتظهر لهم بعض الخوارق التى تؤيدهم فى جهادهم وتعينهم على كفاحهم ، ولا يغض ذلك من شأن تفوقهم المادى ولكن يعضده ، ولا يهون من شأن الأسباب المادية ولكن يقويها ويظاهرها ، وقد دعا الله الى التمسك بالأسباب المادية ليمد المؤمنين بالقوة المعنوية ،

ولو تدبرنا آية الأمر بالقوة لوجدنا ذلك واضحا صريحا فى قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون • وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم • وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم ، يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ، يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » •

فى هذه الآيات الكريمة قوة مادية من ورائها قوة معنوية ثبت الله بها قلوب المؤمنين ظهرت هذه القوة فى كشف الصفوف الخلفية للعدو التى تؤيده وتظاهره ، كما ظهرت فى تأليف القلوب والجمع بينها وقت المحنة بقوة خارقة تعجز الماديات عن القيام بها • وظهرت أيضا فى الغلبة المعنوية التى ترجح الغلبة المادية ، فالمعروف أن يلقى الرجل رجلا مثله ، أما أن يلقى عشرة رجال فيغلبهم فذلك ما لا يدخل فى الحساب المادى ولكنه يدخل فى الحساب المعنوى الذى تسقط أمامه مختلف الموازين والمعايير •

ولقد كان اقتحام العائق المائى واجتياح خط بارليف من أكبر المستحيلات • شهد بذلك أساطين الفنون الحربية والعسكرية • قالوا : ان خسائر الجنود المصريين لو فكروا فى اقتحامه لا يمكن

تقديرها فى الأرواح والمعدات ، ومن يصل منهم سالما الى الشاطىء الآخر مقضى عليه لا محالة .

وقد تم اقتحام هذا العائق المائى واجتياح هذا الخط الرهيب فى ساعات معدودات دون خسائر تذكر . أليس ذلك معجزة ؟

لقد عميت عيون الاسرائيليين وقلوبهم عن استعمال أنابيب اللهب التى أعدوها لصنع بحر من الجحيم يغطى صفحة القناة ساعة الاقتحام . أليس ذلك معجزة ؟

لقد عبر القناة آلاف المقاتلين فى زمن وجيز جدا لا يزيد على ساعات تعد على أصابع اليد الواحدة تحت وابل من الغارات الجوية الرهيبة أليس ذلك معجزة ؟

لقد تحطم خط بارليف نفسه الذى أنفق العدو فى اقامته مئات الملايين وأنفق فيه الجهد والفكر والوقت وحطمه جنودنا فى ست ساعات . أليس ذلك معجزة ؟

لقد ارتبك الاسرائيليون فأوقعهم الله فيما حفرت أيديهم واصطادتهم شباكهم التى نصبوها لجنودنا وانفجرت فيهم ألغامهم التى وضعوها بأنفسهم . أليس ذلك معجزة ؟

لقد قطعت افريقيا كلها علاقاتها باسرائيل وتحطمت أحلام العدو الصهيونى فى قلب هذه القارة التى كانت مطمع آماله وأحلامه . أليس ذلك معجزة ؟

وحدة العرب الحقيقية القلبية التى تمت فورا وبدون مقدمات أو رسميات . أليس ذلك معجزة ؟

ثم لقد تحركت القضـية العربية من جمودهـا وثاب حلفاء اسرائيل الى رشدهم وثاروا ضد حليفتهم وقال أصدقاؤهـا : لن نموت فى الشتاء من البرد من أجلك : أليس ذلك معجزة ؟

كل ذلك معجزات وخوارق • ان دل على شىء فانما يدل على أن نور الاسلام ظلل هذه المعركة ورسم لها طريقها وصنع لهـا نهايتها السعيدة المشرقة •

ولا يصح لنا أن نستبعد هذه الآيات المشار اليها آنفا استنادا على أن المعقول يكمن فى الأسباب المادية والنتائج المترتبة عليها وحدها — أما ماعداها مما يتحدث به الناس أو يضـيفونه الى هذه الأحاديث انما هو من قبيل اللامعقـول الذى لا مجـال له فى خضم الأحداث المادية التى تتحكمفيها العقولالأليكترونية والتقدم التكنولوجى فى عصر الفضاء •

ولكن الذى نسـتبعده من ذلك الاضـافات التى تخلقهـا الاستطـرادات التى لا داعى لها والتى تخرج بهذه الصـورة المشرقة من اطارهـا الروحى الصحيح الى اطار آخر تصـفه الشائعات وتشوهه الأوهام والتزايدات •

ومن المعقول جدا أن يستجيب الله لدعاء الضارعين من عباده المخلصين الذين طهرت قلوبهم وأرواحهم نيران المعارك المتأججة، وصهرهم لهيبها المستعر ، وصفى نفوسهم أتون الصبر فى ميدان المعارك انتظارا للنصر ، واستجابة الله لهؤلاء تتجلى فى مظاهر متعددة تحار فى فهمها العقول وتضل فيها الأذهـان ولا يتحكم فيها منطق ولا تخضع لسبب أو قانون •

ولذلك يمكن أن نضيف الى حملة الاشـعاعات التى ظهـرت فى هذه المعركة ذلك الاشـعاع الروحى الغيبى الذى تجلى الله فيه بالنصر لعباده بقانون فوق قانون البشر هو قانون الامداد الالهى الذى ظهر فى صور متعددة تراءت للمجاهدين وتجلت لهم فى أشكال تناسب مستوياتهم الروحية واستعداداتهم الذهنية ، وفى ساعة الصفاء الروحى والذهنى يرى الانسان مالا يراه غيره ممن أثقلتهم القيود المادية وحالت بينهم وبين الرؤى الـكشفية حجب الأرض الكثيفة وقيودها الثقيلة التى تحول بين الـروح والانطلاق .

الوحـدة الاسـلامية :

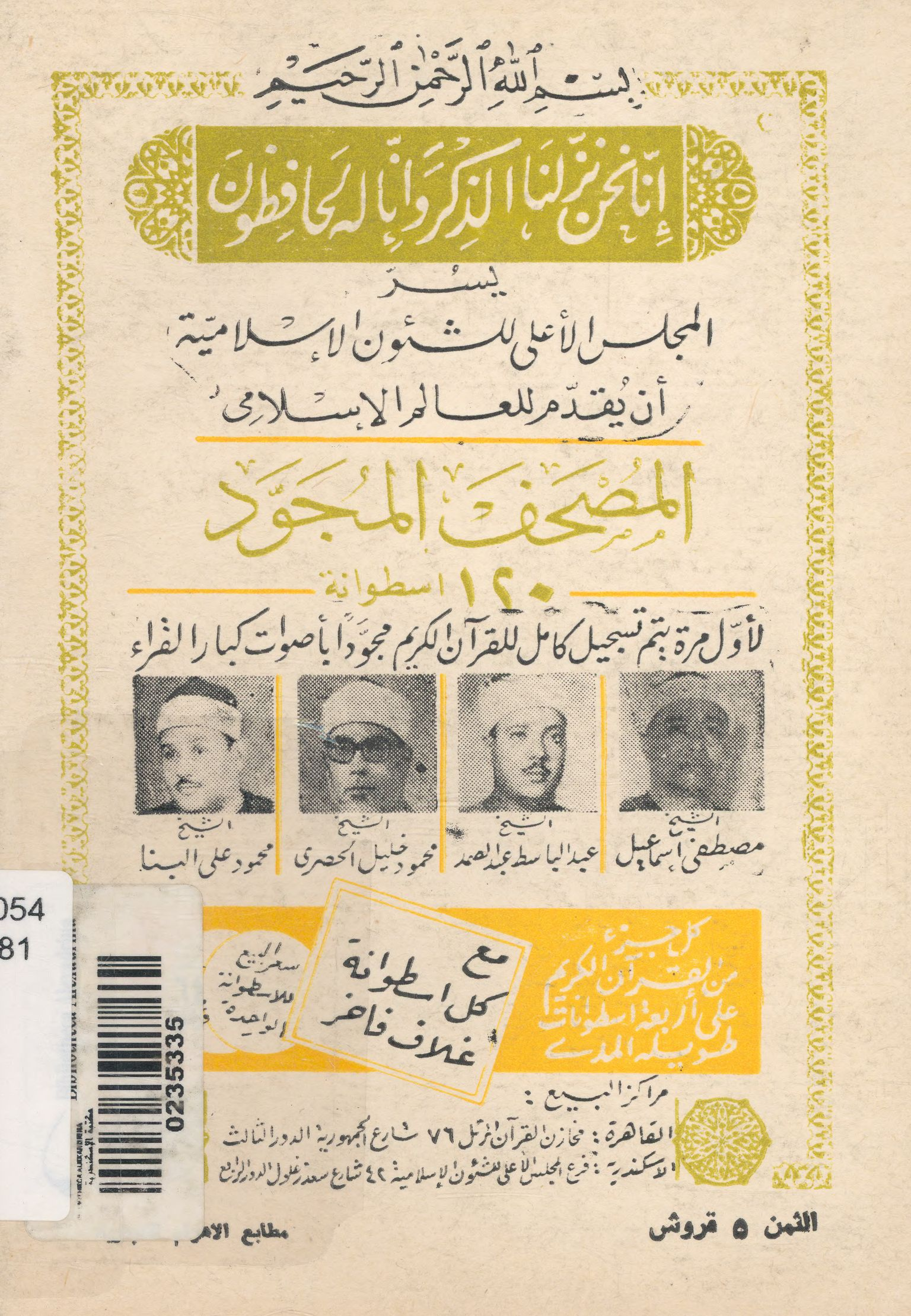
ولقد جمعت هذه المعـركة قلوب المسلمين فى جميع الأقطار حول هدف واحد هو نصرة الاسلام ، وظاهرت هذه القلوب المسلمة المصريين والسوريين فى معركتهم ضد هذا العدو المشترك الذى يكيد للاسلام ، وكانت الوحدة الاسلامية ومازالت أمـلا مرموقا يعيد المجد الاسـلامى الشامخ ويعمل له الجميـع فى تكاتف وتآزر وقد أشرقت شمس هذه الوحدة فى مؤتمرالمسلمين الذى انعقد فى باكستان فى آخر شهر الهجرة النبوية الكريمة هذا العام ليجمع شمل المسلمين فى رباط مقدس يحول بين العـدو وأحلامه التوسعية وأغراضه الهدامة ، وليحقق هذا المؤتمرمعنى قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وقوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » .

وفى ذلك ملمح آخر من ملامح الاسلام العظيم ، كان أثرا من آثار هذه المعركة الظافرة المنتصرة .

وبعد ، فان الحديث عن معركة العاشر من رمضان تقصر دونه الأقلام هى معنى من المعانى الانسانية الرحبة التى تتجاوز حدود القول وترتفع على مستوى الأساليب ، هى مثل أعلى والمثل العليا من شأنها ان يحلق الناس فى فلكها ولا يستطيعون الاقتراب منها ، هى منبع فياض بالخير والعطاء ، وسنظل نرنو الى مورده بالشوق واللهفة ، هى حياة جديدة ، وبعث قوى ، ولحن خالد يرسل أنغامه الحلوة فى سمع الزمان ليردد النـاس على وقعه نشيد البذل والخلود والحب والتضحية والفداء ..

مطابع الاهرام التجارية

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٤ / ٢٢٩٦


بسم الله الرحمن الرحيم
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون
يسر
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
أن يقدم للعالم الإسلامي
المصحف المجود
١٢٠ اسطوانة
لأول مرة يتم تسجيل كامل للقرآن الكريم مجوداً بأصوات كبار القراء
الشيخ
مصطفى إسماعيل
الشيخ
عبد الباسط عبد الصمد
الشيخ
محمود خليل الحصري
الشيخ
محمود على البنا
كل جزء
من القرآن الكريم
على أربعة اسطوانات
طويلة المدى
مع
كل اسطوانة
غلاف فاخر
سعر البيع
للاسطوانة
الواحدة
مراكز البيع :
القاهرة : مخازن القرآن ٧٦ شارع الجمهورية الدور الثالث
الاسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ شارع سعد زغلول الدور الرابع
الثمن ٥ قروش
مطابع الأهر